

المجلة الزيتونية

مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي بجامع الزيتونة المعمور

الجزء الثاني	تونس في شعبان عام ١٣٥٥ وفي اكتوبر عام ١٩٣٦	المجلد الاول

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء فرنكان

الجزء الثاني | فهرس العدد | المجلد الاول

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة فرنكات ٢٠	وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا
« للتلامذة « ١٥	كانت ممضاة من امين المال
« خارج المملكة (وحدة البريد) « ٣٠	والمخابرات المالية لا تكون الا معه



مجلة علمية ادبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي بجامع الزيتونة المعمور

الجزء الثاني	تونس في شعبان عام ١٣٥٥ وفي اكتوبر عام ١٩٣٦	المجلد الاول

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٣٧-٠٧

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء فرنكان

من المجلة الى قرائها

تتقدم المجلة الزيتونية بوافر الشكر وجزيل الثناء الى عموم التونسيين على ما اظهروه من الاهتمام بها والاقبال عليها بما دعى الى اعادة طبع العدد الاول وجعل الهيئة القائمة عليها تنظر للمستقبل بعين الفرح والابتهاج . وتتوسم في نجاح هذا المشروع الذي اقدمت عليه بدافع الواجب الديني والعلمي وتخص بشكرها وثنائها اولئك السادة الافاضل الذين عملوا على توفير عدد المشتركين فيها وعلى نشرها بسرعة في سائر انحاء القطر . وتخص بالثناء ايضا اصحاب الجرائد الذين كتبوا على المجلة فنوهوا بشانها ايما تنويه واثنوا على هيئة القائمين بها او تقدموا اليها بملاحظات دفعهم اليها مبدأ التناصح الذي بدونه لا تخلو الاعمال من اخلال. والمجلة عندما تبتهج بذلك لا يكون ابتهاجها منظورا فيه الى ما في ذلك من النجاح المادي ـ وان كان به نجاحها ونموها ودوامها بحول الله ـ وانما تنظر الى ما هو اسمى من ذلك وارفع وهو الاعانة على نشر المبادي الدينية والسامية بين جميع الطبقات على احسن وجه واقرب اسلوب . واننا نغتنم هاته الفرصة لابداء ملاحظة تتعلق بتحديد مبدأ المجلة الذي ستسير عليه بحول الله ليكون في ذلك جواب عن بعض ملاحظات يدفع الى ابدائها حسن نية اصحابها مع غفلتهم عن المبدأ . ان (المجلة الزيتونية) انما اسست لخدمة العلم والدين وليست خاصة بطبقة معينة من الناس تسايرهم وتماشيهم وتعرض عن سواهم اذن فهي تنشر المباحث العلمية الدقيقة التي قد لا تهم الا طبقات معينة من الناس . وتنشر المباحث الدينية والاجتماعية التي تهم عموم الناس فتحصل بها للعالم الذكرى ويتعلم منها غيره ما لم يحط به خبرا . ومن طبيعة هذا الازدواج ان تنشر فيها مقالات تكون محررة على ما تقتضيه المباحث العلمية . من دقة في التحرير . وسمو في التعبير . ولا يكون في ذلك غضاضة في نظر الناقد البصير . ومن جهة اخرى فالمجلة في اول حياتها ولا بد لكل قادم من دهشة فهي جديرة بان تحضى من قرائها بالتسامح والاغضاء وان ينظر اليها بعين الرضاء وان يتجاوز عما عساه ان يكون فيها من تقصير او سهو والله الموفق الى السداد . والهادي بفضله الى سبيل الرشاد

قلم التحرير

المشاريع

بين العزائم الصادقة والمثبطين للعزائم

المشاريع مهما تعددت انواعها واختلفت مراميها وتباينت مقاصدها من دينية وعلمية وادبية واجتماعية وتجارية واقتصادية فاساس نجاحها · وشرط انتاجها صدق العزيمة في القائمين عليها ·

فاذا بلغك عن مشروع انه كون او هو بصدد التكوين واردت ان تعلم مبلغه من النجاح والدوام · فابحث عن القائمين به · فان تحققت ان لهم عزيمة صادقة فبشر بنجاح ذلك المشروع · والا فاحكم عليه بالاضمحلال · من يوم الاستهلال

فملاك الاعمال كلها · والمحور الذي تدور عليه رحاها هو العزيمة الصادقة

فما هي العزيمة الصادقة ؟

هي ان يكون الشارع في عمل من الاعمال معتقدا بصحته · موقنا بنتيجته · جازما جزما لا شك فيه انه سيصل الى مبتغاه بعد بذل الجهد والاعتماد على الله معرضا عن البطالين والمثبطين للعزائم · مضحيا بنفسه وباعز ما عنده في سبيل تحقيق ما عزم عليه غير مكترث بما سيناله من الاتعاب · وبما سيصادفه في طريقه من المشاكل الصعاب ·

فاذا تحققت هذه الشروط فذلك هو صدق العزيمة الذي هو سر النجاح

وفي اعتقادي ان تحققها غير صعب وانما يستدعي شيئا من الممارسة والتعود على الفضائل حتى تصير كالطبيعة للانسان ·

ولكن منها شرط واحد هو اصعبها تحققا واشدها مراسا · الا وهو الاعراض عن المثبطين للعزائم · فهم الداء العضال المسلط على المشاريع الفاتك بها ·

فالمثبطون للعزائم مثابتهم بمثابة الحيوانات السامة المفترسة · الا ان هاته تفتك بارواح البشر · وهم يفتكون بارواح المشاريع · ولعل هذا النوع من الفتك اشد ضررا واعظم مسئولية من النوع الاول · لان القضاء على المشاريع هو في الحقيقة قضاء على حياة امم كاملة

ولعل مما يؤسف له : ان يكون هذا الخلق خلق تثبيط العزائم متفشيا في بلادنا بصورة عجيبة وعدوا انامية ولا تزال تنمو بكيفية مزعجة مخيفة بحيث يخشى من خطرها كما يخشى من جراثيم مرض الحمى والبلهريسيا . وتجب مقاومتها باشد انواع المقاومة كما تقاوم جراثيم هاته الامراض .

ان خلق تثبيط العزائم قد قضى على هذه البلاد وعلى تقدمها وعلى انتاج اهلها وعلى عزائم قادتها وعلى قرائح نبغائها . وعلى نشاط العاملين فيها .

فوقفت في مكانها وقد سارت الامم اشواطا الى الامام . وتعطل انتاجها وقد ملأ انتاج غيرها عوالم البر والبحر والسماء . وخارت عزائم قادتها وقد صحت عزائم قادات الامم حتى صارت اصلب من الحديد . وتعطلت عقول نبغائها عن العمل المثمر وقد اينعت ثمار العقول في جميع الاقطار والبلدان . وقضى على نشاط الحازمين فيها وقد ايدوا ونصروا عند جميع الاجناس .

وما لذلك من سبب الا هذا الداء العضال داء تثبيط العزائم

تفكر في مشروع من المشاريع ـ كاحداث مدرسة لتعليم البنات المسلمات الدين واللغة العربية وتسعى لابرازه للخارج . فيخطر ببالك ان تتحدث في شانه مع بعض أهل بلادك كما هو الواجب . فتتحرك في نفسه نعرة التثبيط ويتهيأ لمقاومتك فيبدأك اولا بقوله ان هذا المشروع لا تصادقك عليه الحكومة ـ والحكومة هي السلاح الاول الذي يتدرع به كل من لا يريد العمل فتعارضه بان هذا مشروع علمي محض كل حكومات العالم ـ حتى الحكومة الحبشية المرحومة ـ تعين عليه فيقول لك هب ان الحكومة آذنتك بفتح هاته المدرسة فاين المال الذي ستنفقه على القيام بها . فتقول له سانفق عليها مما يدفعه اولياء البنات في كل شهر ومما تجود به همم اهل الفضل والاحسان على هذا المشروع . فيعارضك بان هذه الموارد لا يصح الاعتماد عليها لان ولي البنت ان دفع شهرا فانه لا يستمر على الدفع . واهل البر ان دفعوا مرة فانهم لا يزيدون عليها . فتقول له : هذا سوء ظن بك وغفلة عما وصلت اليه امتنا من الرقي وادراك المشاريع النافعة واي مشروع انفع من تكوين شابات مسلمات يتعلمن الدين الصحيح ويكون لنا

ابناء المستقبل مشبعين بروح الدين وحب لغتهم العربية فمن غير شك ان مشروعا كهذا ستتوافر هممهم على اعانته وبذل كل ما يملكون في سبيله . فتبكته حجتك ولكن لا يرجع عما جبل عليه من التثبيط فيسلك بك مسلكا آخر ويقول لك : هب ان ذلك كله يتم فهناك مشكلة كبرى تحول دون اتمام هذا الموضوع وهي ان اولياء البنات ليست لهم ثقة فيمن سيباشر تعليم بناتهم من الرجال وما يدريك لعل مجالس التعليم تنقلب الى مجالس لهو وفجور . فتقول له قد بلغت يا هذا في سوء الظن وخبث النفس فارجع عن هذا التفكير الاحمق وحسن نيتك في ابناء جنسك فيقول لك : هذه نصيحتي اسديتها اليك وستشاهد صحتها ثم ينصرف .

وما هو في الحقيقة بناصح ولا بمريد للخير ولا بمعتقد لصحة ما يقول ولكنه خلق تثبيط العزائم استولى عليه حتى تركه يهذي بما يتنزه عنه المحموم

وهنا يظهر صدق العزيمة . فان كنت متحليا به فانك تعرض عن هذا المثبط الخائن ويتجلى لك انه واحد من اعوان ابليس الذين يعملون له ما يعجز عن ان يعمله بنفسه وعند ذلك تستعيذ بالله من شره وتمضي في تنفيذ مشروعك الذي فكرت فيه . وان كنت محروما من صدق العزيمة فانك تهتم بما قاله لك ويأخذ عليك مشاعرك وتقوم عندك احتمالات صحة ما اشار به اليك فتاخذ عزيمتك في الانحلال شيئا فشيئا حتى تعتقد بصعب تحقيق ذلك المشروع ثم بتعذره ثم بتعسره ثم باستحالة وقوعه حتى يصير ذلك المشروع عندك نسيا منسيا .

فهذه صورة من مآت الصور التي تقف فيها المشاريع بين مد العزائم الصادقة وجزر المثبطين للعزائم . وفي الغالب تتغلب الثانية على الاولى . فتضمحل المشاريع ويقضى عليها وهي في مهدها .

ولعل بعض الناس يتساءل عن العلة النفسية لهذا الخلق الذميم . ويظهر لي ان علة ذلك ترجع الى خلق آخر وهي ان كل انسان متصف ببعض الرذائل يتمنى فشوها بين جميع الناس . فالمقامر يبتهج بكثرة المقامرين والسكير يفرح كثيرا بتفشي الخمر بين الناس . والنمام يعمل اقصى جهده لتعويد الفضلاء على النميمة وهكذا . لان المتلبس

برذيلة يحس بانحطاط نفسه وحقارتها بالنظر لغير المتلبسين بها فهو يحرص على فشوها من الناس ليكون له بذلك تسلية عما هو فيه وتثبيط العزائم من اكبر الرذائل ايضا وهو شيء عن عدم استعداد النفوس للعمل وعدم قدرتها على تحمل مشاق المشاريع العظمى الابتكارات المفيدة وصاحب هذا الخلق يعرف مقدار هذه الرذيلة ويشعر بامتهان نفسه ضعف عزيمته وانه لا يعيش الاكلا على المجتمع فهو لذلك يسعى جهده في تثبيط عزائم الناس الذين يتوقع انهم يقدرون على العمل المنتج حتى يكونوا مماثلين له في لكسل والبطالة وعدم الانتاج وبذلك يقضي لبانة ما انطوى عليه من خبث النفس تدرن الطوية .

فواجب على كل من يريد القيام باعباء اي مشروع من المشاريع ان يطبع نفسه على العزيمة الصادقة والاستهزاء بالمثبطين الماكرين . وان لا يلتفت اليهم ولا يقيم لهم وزنا . لانهم اعداء انفسهم واعداء اممهم بل واعداء العالم كله .

ونحن اذا قلبنا صفحات التاريخ من يوم خلق الله الارض الى يوم الناس هذا نجد ان مثل هذا الصراع بين صادقي العزائم والمثبطين ظاهر في جميع الاطوار والنواحي والاتجاهات . فان تغلب صدق العزيمة ـ وهو القليل ـ نجحت الاعمال . وتحققت الآمال . وان تغلب التثبيط ـ وهو الكثير ـ تعطلت المشاريع وقضي عليها .

خذلك مثلا بما قصه علينا القرءان العظيم مما وقع لرسل الله عليهم الصلاة والسلام من المشاق الكثيرة والمتاعب التي لا يقدر على تحملها الا من اصطفاهم الله لاداء الامانة وتبليغ الرسالة . فهذا سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام يبالغ قومه في أذايته حتى يفضي بهم الحال الى القائه في النار . وهو مصر على ما جاء يدعوهم اليه من نبذ الاوثان واخلاص العبادة لله وحده . وهذا سيدنا يوسف وهذا سيدنا يوشع وهذا سيدنا ذو النون الى غيرهم من بقية الرسل عليهم الصلاة كلهم قد عانوا في سبيل الله ما عانوا وكانت الغلبة لهم على اقوامهم وكان النصر حليفا لهم عليهم . وما ذلك الا لما اودع الله فيهم من صدق العزيمة والثبات الذي دونه ثبات الرواسي الشامخات حتى سماهم الله باولي العزم .

وقد اشار القرآن الى ان الغرض من بسط قصصهم مع اقوامهم هو تربية العزيمة الصادقة في النفوس حتى لا تكون تلك المقاومات حائلا بين الرجال وبين ما يعزم على القيام به من الاعمال الصا ة والدعايات النافعة . فقال الله تعلى (وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) ـ وقال الله تعلى (فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدن لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون)

ثم اذا التفتنا بعد ذلك الى تواريخ الامم نجد ان ابطالها وزعماءها لم يتمكنوا من النهوض بها وتغيير مجاري حياتها الا بفضل ما لهم من الثبات وصدق العزيمة والصبر على الشدائد • وتحمل المكاره • ومن اجل ذلك كان هذا النوع عزيزا في الرجال • ولله در ابي الطيب في قوله :

لا يدرك المجد الا سيد فطن ❀ لما يشق على السادات فعال
لولا المشقة ساد الناس كلهم ❀ الجود يفقر والاقدام قتال
وانما يبلغ الانسان طاقته ❀ ما كل ماشية بالرحل شملال (١)

فعلى كل من اراد النجاح وبلوغ الغاية التي يرمي اليها ان يتدرع بصدق العزيمة • وان لا يترك لهؤلاء المثبطين عليه من سبيل •

وواجب على كل امة تريد ان تنهض بنفسها • وان تصل الى ما تصبو اليه من عز وسؤدد ان تقاوم هؤلاء المثبطين وان تعمل للقضاء عليهم . بعدم الالتفات اليهم وتركهم وشق الجمل . يلاحظون فتلغيهم . ويتكلمون فتسكت عنهم . ويتظاهرون بالنصح فتعمل بنقيض ما به ينصحون .

وهب ان عدة مشاريع تلاقيها عند تكوينها اعاصير الرياح فتبددها . وتصادفها موانع فتقضي عليها فلا ينبغي ان يكون ذلك مثبطا لعزائم العاملين . لان مثل هاته

(١) الشملال الناقة القوية السريعة في مشيها ـ ومعنى البيت ان كل انسان يجري في السيادة على قدر طاقته فليس كل احد اهلا للاضطلاع باعباء السيادة حتى يستطيع ان يسود ويبلغ مبلغ العظماء من الرجال . كما انه ليس كل ناقة مشت بالرحل شملالا .

الموارض من شانها ان تصادف جميع الموجودات وتصادم جميع الكائنات . ولكن ليس في ذلك دليل على فساد المشاريع ولا ان فيه ما يدعو الى ترك العمل لانه يكفي الانسان فخرا ان ينجح في مشروع من مائة مشروع يسعى فيه . وقديما قالوا :

على المرء ان يسعى بما فيه نفعه ❀ وليس عليه ان تتم المطالب

وينبغي ان لا يذهل قارىء هذا المقال عن الفرق بين المثبطين الذين كنا نتحدث عنهم . واطلنا في التحذير منهم . وبين المرشدين النصحاء الذين ان انتقدوا فلاصلاح خلل . وان قالوا فلتقويم اعوجاج . وان حذروا فلتهيئة القائمين على المشاريع الى مقاومة ما يحذرونهم منه . مع الصدق والجد والترفع عن سفساف الاغراض . فهؤلاء يجب الاهتمام بهم وتنشيطهم والعمل بما به ينصحون . بل اعتقد ان هذا الصنف من الناس لا بد من وجوده او من ايجاده لانهم ا راس الأمناء على المشاريع من ان يتطرقها خلل او يطرأ على القائمين عليها ادنى زلل . والى مثلهم يشير شاعر الحماسة عند ما قال :

ساشكر عمرا ان تراخت منيتي ❀ ايادي لم تمنن وان هي جلت

راى خلتي من حيث يخفى مكانها ❀ فكانت قذى عينيه حتى تجلت

فعلى العاقل ان يميز بين الناس ويتبين مقاصدهم . ويفرق بين من يسرحسوا في ارتغاء . ويعمل للقضاء على المشاريع واحباط المقاصد وبين من يكون صادقا في نصيحته ولا غرض له الا الارشاد ونفع العباد . والله الموفق والهادي الى سواء السبيل

محمد المختار بن محمود





﴿ دروس التفسير ﴾

لصاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

بقية المقدمة الاولى في التفسير والتاويل

هذا وفي عد التفسير علما تسامح اذ العلم اذا اطلق اما ان يراد به نفس الادراك نحو قول المنطق العلم اما تصور واما تصديق . واما ان يراد به الملكة المسماة بالعقل . واما ان يراد به التصديق الجازم وهو مقابل الجهل وهذه غير مرادة في عد العلوم واما ان يراد بالعلم المسائل المعلومات وهي مطلوبات خبرية يبرهن عليها في ذلك العلم وهي قضايا كلية ومباحث هذا العلم ليست بقضايا يبرهن عليها فما هي بكلية بل هي تصورات جزئية غالبا لانه تفسير الفاظ او استنباط معان فاما تفسير الالفاظ فهو من قبيل التعريف اللفظي واما الاستنباط فمن دلالة الالتزام وليس ذلك من القضية

فاذا قلنا ان يوم الدين في قوله تعلى ملك يوم الدين هو يوم الجزاء . واذا قلنا ان قوله وحمله وفصاله ثلاثون شهرا مع قوله وفصاله في عامين يؤخذ منه ان اقل الحمل ستة اشهر عند من قال ذلك لم يكن شيء من ذلك قضية بل الاول تعريف لفظي والثاني من دلالة الالتزام الاانهم عدوا تفسير الفاظ القرءان علما مستقلا اراهم فعلوا ذلك لواحد من وجوه ستة الاول ان مباحثه لكونها تؤدي الى استنباط علوم كثيرة وقواعد كلية نزلت منزلة القواعد الكلية لانها مبدأ لها ومنشأ ولا شك ان ما تستخرج منه القواعد الكلية والعلوم اجدر بان يعد علما من عد فروعه علما وهم قد عدوا تدوين الشعر علما لما في حفظه من استخراج نكت بلاغية وقواعد لغوية . الثاني ان نقول ان اشتراط

كون مسائل العلم قضايا كلية يبرهن عليها في العلم خاص بالعلوم المعقولة لان هذا اشتراط ذكره الفلاسفة في تقسيم العلوم اما العلوم الشرعية والادبية فلا يشترط فيها ذلك بل يكفي ان تكون مباحثها مفيدة كمالا علميا لمزاولها وواعيها والتفسير اعلاها في ذلك كيف وهو بيان مراد الله تعلى من كلامه وهم قد عدوا البديع علما والعروض علما وما هي الا تعاريف لالقاب اصطلاحية . الثالث ان نقول التعاريف اللفظية تصديقات على رأي بعض المحققين فهي تؤل الى قضايا وتفرع المعاني الجمة عنها نزلها منزلة الكلية . والاحتجاج عليها بشعر العرب وغيره يقوم مقام اقامة البرهان على المسالة وهذا الوجه يشترك مع الوجه الاول في تنزيل مباحث التفسير منزلة المسائل الا ان وجه التنزيل في الاول راجع الى ما يتفرع عنها وهنا راجع لذاتها مع ان التنزيل في الوجه الاول في جميع الشروط الثلاثة وهنا في شرطين لان كونها قضايا انما يجيء على مذهب بعض المنطقيين . الرابع ان نقول ان علم التفسير لا يخلو من تقرير قواعد كلية في اثنائه مثل تقرير قواعد النسخ عند تفسير « ما ننسخ » وتقرير قواعد التاويل عند تقرير « وما يعلم تاويله » وقواعد المحكم عند تقرير « منه ءايات محكمات » فسمي مجموع ذلك وما معه علما تغليبا .

هذا وقد اعتنى العلماء باحصاء كليات تتعلق بالقرآن وجمعها ابن فارس وذكرها عنه في الاتقان وعني بها الكفوي في كلياته فلابدع ان تزاد تلك في وجوه شبه مسائل التفسير بالقواعد الكلية . الخامس ان حق التفسير ان يشتمل على بيان اصول التشريع وكلياته فكان بذلك حقيقا بان يسمى علما ولكن المفسرين ابتدأوا بتقصي معاني القرءان فطفحت عليهم وحسرت دون كثرتها قواهم فانصرفوا عن الاشتغال بانتزاع كليات التشريع الا في مواضع قليلة . السادس وهو الفصل ان التفسير كان اول ما اشتغل به علماء الاسلام قبل الاشتغال بتدوين بقية العلوم وفيه كثرت مناظراتهم فكان هو قمطر العلوم الشرعية فمن اجل ذلك سمي علما .

ويظهر ان هذا العلم ان اخذ من حيث انه بيان وتفسير لمراد الله من كلامه كان معدودا من اصول العلوم الشرعية وهي التي ذكرها الغزالي في الضرب الاول من العلوم

الشرعية المحمودة من كتاب الاحيا [١] لانه عد اولها الكتاب والسنة ولا شك انه لا يعني بعلم الكتاب حفظ الفاظه بل فهم معانيها وبذلك صح ان يعد راس العلوم الاسلامية كما قال البيضاوي وان اخذ من حيث ما فيه من بيان مكي ومدني وصيفي وشتاءي وناسخ ومنسوخ ومن قواعد الاستنباط التي تذكر ايضا في علم اصول الفقه من عموم وخصوص وغيرهما كان معدودا في متممات العلوم الشرعية المذكورة في الضرب الرابع من كلام الغزالي وبذلك الاعتبار عده فيها اذقال الضرب الرابع المتممات وذلك في علم القرآن ينقسم الى ما يتعلق باللفظ كعلم القراءات والى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده ايضا على النقل والى ما يتعلق باحكامه كالناسخ والمنسوخ والعام والخاص وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى اصول الفقه انتهى وهو بهذا الاعتبار لا يكون رئيس العلوم الشرعية .

وهو اول العلوم الاسلامية ظهورا اذ قد ظهر الخوض فيه من عصر النبيء صلى الله عليه وسلم اذ كان بعض الصحابة يساله عن مشكل بعض معاني القرءان كما ساله عمر رضي الله عنه عن الكلالة ثم اشتهر فيه بعد من الصحابة علي وابن عباس وهما اكثر الصحابة قولا في التفسير وزيد بن ثابت وابي بن كعب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهم وكثر الخوض فيه حين دخل في الاسلام من لم يكن عربي السجية فلزم التصدي لبيان معاني القرءان اليهم وشاع عن التابعين واشهرهم في ذلك مجاهد وابن جبير

واما تصنيفه فاول من صنف فيه عبد الملك بن جريج المكي « المولود سنة ٨٠ والمتوفي سنة ١٤٩ » صنف كتابه في تفسير ءايات كثيرة وجمع فيه ءاثارا وغيرها واكثر

---

(١) فانه قسم العلوم الى شرعية وغيرها وقسم الشرعية الى محمودة ومذمومة وقسم المحمود منها الى اضرب اربعة اصول وفروع ومقدمات ومتممات فالاصول الكتاب والسنة والاجماع وءاثار الصحابة والثاني الفروع وهو ما فهم من الاصول وهو الفقه وعلم احوال القلوب والثالث المقدمات كالنحو واللغة والرابع المتممات للقرءان وللسنة وللاثار وهي القراءات والتسفير والاصول وعلم الرجال وليس في العلوم الشرعية مذموم الا عرضا كبعض احوال علم الكلام وبعض الفقه الذي يقصد للتحيل ونحوه

روايته عن اصحاب ابن عباس مثل عطاء ومجاهد وصنفت تفاسير نسبت روايتها عن ابن عباس لكن اهل الاثر تكلموا فيها وهي تفسير محمد ابن السايب الكلبي « المتوفي سنة ١٤٦ » عن ابي صالح عن ابن عباس وقد رمي ابو صالح بالكذب حتى لقب بكلمة « دروغدت » بالفارسية بمعنى الكذاب وهي اوهى الروايات فاذا انضم اليها رواية محمد بن مروان السدي عن الكلبي فهي سلسلة الكذب ارادوا بذلك انها ضد ما لقبوه بسلسلة الذهب وهي مالك عن نافع عن ابن عمر وهنالك رواية مقاتل ورواية الضحاك ورواية علي ابن ابي طلحة الهاشمي كلها عن ابن عباس واصحها رواية علي ابن ابي طلحة وهي التي اعتمدها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه فيما يصدر به من تفسير المفردات على طريقة التعليق دون الاسناد وقد خرج في الاتقان جميع ما ذكره البخاري من تفسير المفردات عن ابن ابي طلحة عن ابن عباس مرتبة على سور القرآن والحاصل ان الرواية عن ابن عباس قد اتخذها الوضاعون والمدلسون ملجأ لتصحيح ما يروونه كدأب الناس في نسبة كل امر مجهول من الاخبار والنوادر لاشهر الناس في ذلك المقصد .

وهنالك روايات تسند لعلي رضي الله عنه اكثرها من الموضوعات الا ما روي بسند صحيح مثل ما في صحيح البخاري ونحوه لان لعلي افهاما في القرآن كما ورد في صحيح البخاري ان عليا قال مجيبا لمن ساله اعندك شيء من العلم ليس عند غيرك فقال ما عندنا الا كتاب الله وهذه الصحيفة واخرج صحيفة فيها ذكر الديات ونحوها ثم قال الا فهما يرزقه العبد في كتاب الله ثم تلاحق العلماء في تفسير القرآن وسلك كل فريق مسلكا ياوي اليه وذوقا يعتمد عليه فمنهم من سلك مسلك نقل ما يؤثر عن السلف واشهرهم محمد ابن جرير الطبري ومنهم من سلك مسلك النظر كابي السحاق الزجاج وابي علي الفارسي وشغف كثير بنقل القصص عن الاسرائليات فكثرت في كتبهم الموضوعات الى ان جاء في عصر واحد عالمان جليلان احدهما بالمشرق وهو العلامة ابو القاسم الزمخشري فالف كتاب الكشاف والاخر بالمغرب بالاندلس وهو الشيخ عبد الحق ابن عطية فالف تفسيره المسمى بالمحرر والوجيز وكلاهما يغوص على معاني الآيات وياتي بشواهدها من كلام

العرب ويذكر كلام المفسرين الا ان منحى البلاغة على الزمخشري اغلب ومنحى الشريعة على ابن عطية اغلب وكلاهما عضادتا الباب ومرجع من بعدهما من اولي الالباب

وقد جرت عادة المفسرين بالخوض في بيان معنى التاويل وهل هو مساو للتفسير او اخص منه وجماع القول في ذلك ان من العلماء من جعلهما متساويين والى ذلك ذهب ثعلب وابن الاعرابي وابو عبيدة وهو ظاهر كلام الراغب ومنهم من جعل التفسير للمعنى الظاهر والتاويل للمتشابه . ومنهم من قال التاويل صرف اللفظ عن ظاهر معناه الى معنى آخر محتمل لدليل فيكون هنا بالمعنى الاصولي فاذا فسر قوله تعلى « يخرج الحي من الميت » باخراج الطير من البيضة فهو التفسير او باخراج المسلم من الكافر فهو التاويل وهنالك اقوال اخر لا عبرة بها وهذه كلها اصطلاحات لا مشاحة فيها الا ان اللغة والآثار تشهد للقول الاول لأن التاويل مصدر اوله اذا ارجعه الى الغاية المقصودة والغاية المقصودة من اللفظ هو معناه وما اراده منه المتكلم به من المعاني فساوى التفسير من حيث انه لا يطلق الا على ما فيه تفصيل معنى خفي معقول ولذلك استعمل مجازا في التنمية والتفصيل في قول الاعشى :

على انها كانت تاول حبها ❀ تاول ربعي السقاب فاصحبا

اي تفسر حبها انه كان صغيرا في قلبه فلم يزل يشبت حتى صار كبيرا كهذا السقب اي ولد الناقة الذي لم يزل يشب حتى كبر وصار له ولد يصحبه قاله ابو عبيدة وقد قال الله تعلى هل ينظرون الا تاويله «اي لا ينظرون الا بيانه الذي هو المراد منه والغاية وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه لابن عباس « اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل » اي فهم معاني القرآن وفي حديث عائشة رضى الله عنها « كان صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفرلي يتاول القرآن » اي يعمل بقوله تعلى فسبح بحمد ربك واستغفره فلذلك جمع في دعائه التسبيح والحمد وذكر لفظ الرب وطلب المغفرة فقولها يتاول صريح في انه فسر الآية بالظاهر منها ولم يحملها على ما تشير اليه من انتهاء مدة الرسالة وقرب انتقاله صلى الله عليه وسلم الذي فهمه منها ابو بكر وعمر وابن عباس رضي الله عنهم .



« بقية شرح حديث موسى والخضر المنشور نصه بالجزء الاول »

بقلم الاستاذ الشيخ محمد البشير النيفر المدرس بقسم
التخصص والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

حاصل الحديث ان سعيد ابن جبير اخبر ابن عباس رضي الله عنهما بما يقول نوف البكالي ان موسى الذي قص الله من خبره مع العبد الذي آتاه رحمة من عنده وعلمه من لدنه علما ليس هو موسى بني اسرائيل بل موسى آخر فانكر ابن عباس هذا القيل بقوله كذب عدو الله وساق من حديث ابي ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة موسى والخضر ما يبطل ماذهب اليه نوف . قال ابن التين لم يرد ابن عباس اخراج نوف عن ولاية الله ولكن قلوب العلماء تنفر اذا سمعت غير الحق فيطلقون امثال هذا الكلام لقصد الزجر والتحذير منه وحقيقته غير مرادة

وجوز الحافظ ابن حجر ان يكون ابن عباس اتهم نوفا في صحة اسلامه ولهذا لم يقل في حق الحر بن قيس هذه المقالة مع تواردهما عليها . قلت اشار الحافظ الى ما أخرج البخاري في كتاب العلم في باب ما ذكر في ذهاب موسى عليه السلام في البحر الى الخضر من ان ابن عباس تمارى هو والحر بن قيس الفزاري في صاحب موسى قال ابن عباس هو خضر فمر بهما ابي ابن كعب فدعاه ابن عباس فقال اني تماريت انا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سال موسى السبيل الى لقيه الخ

وانت ترى ان الحر بن قيس لم ينكر ان يكون موسى الكليم هو صاحب الخضر كما انكر نوفا البكالي وانما كان يماري في صاحب موسى فمتعلق الانكارين مختلف

والظاهر ان لا ينظر اليهما بعين واحدة حتى ينال الذاهب الى كل واحد مثل ما ينال الاخر من لوم وانكار فكلام الحافظ مجال كما رايت والله اعلم

قلت وعلى ما رآه ابن التين ننتزع من كلام ابن عباس حجة لمذهب الجمهور الذين يفسرون كذب الخبر بعدم مطابقته للواقع وان وافق الاعتقاد وما رآه ابن عباس واحتج له هو ما عليه جمهور اهل العلم والتاريخ

قال القرطبي الجمهور من اهل العلم والتاريخ انه موسى بن عمران المذكور في القرآن ليس فيه موسى غيره وقالت فرقة منهم نوف البكالي انه ليس موسى بن عمران وانما هو موسى بن مشا بن يوسف بن يعقوب وكان نبيا قبل موسى بن عمران

واحتج ابن عباس على بطلان ما قال نوف بما رواه ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قام موسى النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في بني اسرائيل فسئل اي الناس اعلم. الحديث

قوله (قام خطيبا) روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما ظهر موسى وقومه على ارض مصر نزل قومه مصر فلما استقرت بهم الدار امره الله ان يذكرهم بايام الله فخطب قومه فذكرهم ما اراهم الله من الخير والنعمة اذ نجاهم من آل فرعون واهلك عدوهم واستخلفهم في الارض ثم قال وكلم الله نبيكم تكليما واصطفاه لنفسه والقى عليه محبة منه وآتاكم من كل ما سألتموه فجعلكم افضل اهل الارض ورزقكم العز بعد الذل والغنى بعد الفقر والتوراة بعد ان كنتم جهالا فقال له رجل من بني اسرائيل عرفنا الذي تقول فهل على وجه الارض اعلم منك يا نبي الله ؟ قال لا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه ذكره القرطبي ومثله في الكشاف مختصرا قال ابن عطية : وما يروى ان موسى عليه السلام انزل قومه بمصر الا في هذا الكلام بل الظاهر ان موسى مات بفحص التيه قبل فتح ديار الجبارين والرواية عن ابن عباس توافق صريح حديث الباب ان موسي عليه السلام سئل عن ذلك . ولكن في رواية للنسائي من طريق عبد الله ابن عبيد عن سعيد ابن جبير بهذا الاسناد انه قام خطيبا فعرض في نفسه ان احدا لم يؤت من العلم مثل ما اوتي وعلم الله بما حدث به نفسه .

ورواية مسلم نحو من رواية البخاري في ان موسى سئل عن هذا ولا يبعد الجمع بين رواية النسائي وغيرها بان موسى صلى الله عليه وسلم عرض هذا الخاطر في نفسه وسئل عنه

وقوله في الحديث فسئل (اي الناس اعلم فقال انا اعلم قال الشهاب القسطلاني اي بحسب اعتقاده وهذا ابلغ من السابق في باب الخروج في طلب العلم : هل تعلم ان احدا اعلم منك فقال لا فانه انما نفى هنالك علمه وهنا على البت) هذا كلامه رحمه الله اما قوله أي بحسب اعتقاده فهو يلوح به الى درء شبهة واردة وهي ان موسى عليه الصلاة والسلام معصوم من قول غير الحق فكيف يقول انا اعلم مع ما اوحى الله به اليه : ان عبدا من عبادي بمجمع البحرين . هو اعلم منك

ونظير هذا ما اجاب به بعض العلماء عن قوله صلى الله عليه وسلم في حديث ذي اليدين كل ذلك لم يكن من ان المعنى كل ذلك لم يكن في ظني

ونقل القاضي عياض عن بعضهم ان معنى قوله انا اعلم انه اعلم بما تقتضيه النبوة وامور الشريعة وسياسة الامة ، ويدل له قول الخضر عليه السلام انت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه وانا على علم علمنيه الله لا تعلمه . واذا كان كذلك فخبره عن ذلك صدق نقله الشيخ الابي واقره

وللعبد فيه نظر وذلك ان الذي يفيده الحديث ان الله بين لموسى عليه الصلاة والسلام بما اوحى اليه ان عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو اعلم منك ان قوله : انا اعلم لا يتفق مع ما في علم الله تعالى وحينئذ فاما ان يكون قول موسى عليه الصلاة والسلام انا اعلم معناه انه اعلم بكل شيء ويكون الله بين له ان من عباده من هو اعلم منه ببعض الامور ، واما ان يكون معناه انا اعلم بشيء خاص مثل ما تقتضيه النبوة وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الله قد بين له ان من عباده من هو اعلم منه بذلك الخاص . وعلى التقديرين فقد تبين لموسى عليه الصلاة والسلام ان ما قاله لم يتفق هو وما علمه الله . واما حمل قوله انا اعلم على ان معناه انا اعلم بشيء خاص وهو ما تقتضيه النبوة وامور الشريعة وسياسة الامة كما نقله القاضي عياض عن بعضهم مع حمل متعلق علم الخضر

على غير متعلق علم موسى عليهما الصلاة والسلام وهو لا يلاقي ما اقتضاه ظاهر الحديث من ان الله بين لموسى بقوله: ان عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك ان ما قاله لا يتفق مع ما في علمه جل وعلا

والذي يتعين او يكاد يتعين ان معنى قول موسى عليه الصلاة والسلام: انا اعلم انه اعلم بكل شيء وان الله بين له ان من عباده من هو اعلم منه ببعض الامور

واما قول الشهاب القسطلاني: وهذا ابلغ من السابق في باب الخروج في طلب العلم فحاصله ان الذي تقدم للبخاري في باب الخروج في طلب العلم ان موسى عليه الصلاة والسلام كان في ملأ من بني اسرائيل اذ جاءه رجل فقال: اتعلم احدا اعلم منك فقال موسى لا الحديث. فرأى الشهاب ان في هذه الرواية نفي العلم. واما رواية الباب فالمنفي بها البت

وهذا عجيب من مثل الشهاب فقد رايت قريبا انه تأول قول موسى عليه الصلاة والسلام: انا اعلم بقوله: اي بحسب اعتقاده. وبهذا تتحد رواية الباب بالرواية السابقة من جهة المعنى ولا تكون الثانية ابلغ

ومما يزيدك ثقة بصحة رأينا هذا قول الحافظ ابن حجر في الفتح

قيل انه [1] مخالف لقوله في الرواية السابقة في باب الخروج في طلب العلم. قال هل تعلم احدا اعلم منك. وعندي لا مخالفة بينهما لان قوله هنا انا اعلم اي فيما اعلم فيطابق قوله: لا في جواب من قال له هل تعلم احدا اعلم منك اه ومثله للمازري

وقوله في الحديث: فعتب الله عليه اذ لم يرد الامر الى الله • قال الامام المازري معنى العتب عدم الرضا بقوله شرعا واما العتب بمعنى الموجدة وتغير النفس فلا يجوز على الله تعالى وهو يشير به الى ان الكلام من باب الكناية ومثله معروف مشهور • وقوله اذ لم يرد العلم اليه علة للعتب اورد العلم الى الله بان يقول انا والله اعلم او نحوا من هذا

وقوله في الحديث: فاوحى الله اليه ان عبدا من عبادي بمجمع البحرين الخ قال في

(١) اي قوله انا اعلم

مدارج السالكين العبودية نوعان عام وخاص فالعبودية العامة عبودية اهل السماوات والارض كلهم برهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم فهذه عبودية القهر والملك قال الله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه لقد جئتم شيئا ادا يكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ان كل من في السماوات والارض الا آتي الرحمن عبدا) وقال : قل اللهم فاطر السماوات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) وقال : « وما الله يريد ظلما للعباد » « ان الله قد حكم بين العباد »

واما النوع الثاني فعبودية الطاعة والمحبة وامتثال الاوامر قال تعالى : يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون وقال فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه . وقال : وعباد الرحمان الذين يمشون على الارض هونا . وقال تعالى حكاية عن ابليس : لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فقال تعالى : ان عبادي ليس لك عليهم سلطان . فالخلق كلهم عبيد ربوبية واهل طاعته وولايته عبيد الوهية

وانما انقسمت العبودية الى عامة وخاصة لان اصل معنى اللفظ الذل والخضوع يقال طريق معبد اذا كان مذللا بوطء الاقدام ويقال عبده الحب اذا ذلله . لكن اولياؤه خضعوا له وذلوا طوعا واختيارا وانقيادا لامره ونهيه واعداؤه خضعوا له قهرا ورغما

واذا علمت انقسام العبودية الى القسمين فعبودية الخضر من القسم الثاني وفي ضمنها القسم الاول كما هو ظاهر .

قال في المدارج والله تعالى جعل العبودية وصف اكمل خلقه واقربهم اليه فقال : لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون وقال : « واذكر عبدنا داود واذكر عبدنا ايوب » واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب وقال عن المسيح : ان هو الا عبد انعمنا عليه . ووصف اكرم خلقه عليه واعلاهم عنده منزلة بالعبودية في اشرف مقاماته فقال تعالى : وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا وقال : تبارك الذي نزل الفرقان على عبده . وقال : الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب فذكره بالعبودية في مقام انزال الكتاب عليه والتحدي بان ياتوا بمثله . وقال : وانه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه

لبدا فذكره بالعبودية في مقام الدعوة اليه وقال : سبحان الذي اسرى بعبده فذكره بالعبودية في مقام الاسراء .

ولننظم في هذا السلك قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا وما جاء في حديث الباب فاوحى الله اليه : ان عبدا من عبادي بمجمع البحرين الخ

وهذا العبد هو الخضر كما جاء التصريح به فيما اخرجه البخاري في غير هذا الموضع من كتاب العلم وفي كتاب التفسير ايضا وتقدم التنبيه على هذا وان ابن عباس تمارى هو والحر بن قيس في صاحب موسى الذي سأل السبيل الى لقيه وان ابي ابن كعب روى لهما عن النبيء صلى الله عليه وسلم ما يرفع الاشكال .

وقوله بمجمع البحرين : قال الشهاب القسطلاني اي ملتقى بحر فارس والروم من جهة الشرق او بافريقية او طنجة اه

قلت اما القول بانه ملتقى بحر فارس والروم فقد عزاه القرطبي الى قتادة وعزاه ابو حيان الى مجاهد ايضا . قال ابن عطية : وهو ذراع يخرج من البحر المحيط من الشمال الى الجنوب في ارض فارس من وراء اذربيجان فالركن الذي لاجتماع البحرين مما يلي بر الشام هو مجتمع البحرين على هذا القول

واما القول بانه بافريقية فقد عزاه الى أبي واما . القول بانه بطنجة حيث مجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه فقد عزاه ابو حيان الى جماعة منهم محمد بن كعب . وفيه اقوال أخر اظهرها بطلانا انه موسى والخضر لانهما كانا بحرين في العلم . قال في البحر المحيط : وهذا شبيه بتفسير الباطنية وغلاة الصوفية . والاحاديث تدل على انهما بحرا ماء . واولى هذه الاقوال بالقبول قول مجاهد وقتادة لان موسى عليه السلام كان بالشام

قال الابي : وقيل ان جميع القصة كانت بافريقية وان الصخرة صخرة ابي الربيع وان الجدار بالمحمدية وان السفينة من السفن التي كانت تحمل الحجر بالحنايا وهذا كله بعيد لان موسى عليه الصلاة والسلام كان بالشام فيبعد ان ياتي منها لافريقية ماشيا هذا كلامه وهو سديد

يتبع

محمد البشير النيفر

الحديث الموضوع

كانت دروس فضيلة العلامة النحرير الشيخ سيدي محمد الصادق النيفر نوادي عام تجمع طبقات الناس المختلفة من رجالات العلم الى العامة لما كان لاسلوبه السامي من جاذبية ولما كان لفضيلته من المقدرة الكبرى في تيسير امهات مسائل العلم على المستمع والنزول بها الى الاذهان البسيطة مع المحافظة على روحها ورونقها ، ولذا كانت رحاب دروسه غاصة الجوانب مفعمة افعاما . وقد تخرج منها عدد كبير من علماء تونس ورؤس مدرسي الجامع واساتذته . وها هو اليوم يمتع قراء المجلة الزيتونية بشيء من آثاره الجليلة

***

وضع الحديث ـ دواعيه ـ علاماته ـ ما اشتهر منه

ان دعامة الاسلام شيدت على اسس محكمة قويمة . ولولا ذلك لانهار الاسلام (لا قدر الله) اذ قد مني باعداء الداء يحاربونه بكرة وعشيا ويرشقونه بنبال سهامهم الحسية والمعنوية وربما املوا ان يبلغوا بالثاني ما لم ينالوا بالاول وما هم ببالغيه

ومن بين تلك الطرق التي حاولوا بها طعن الاسلام في الصميم وضع احاديث مكذوبة دسوها في الحديث الشريف المروي عن صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم وما دروا انه (والحمد لله) دين مجيد تنزيل من حكيم حميد لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

ولقد قيض الله له في كل عصر علماء مصلحين وخدمة للدين ناصحين فذبوا عن حياض السنة بما اوتوا من قوة وعزيمة ودمغوا صفوف الملحدين وكانوا شجا في حلق الذين تهاونوا بحديث من كذب علي [1] فليتبوا مقعده من النار وهو حديث كما قال ابن الجوزي ليس في الدنيا حديث نظيره اجتمع عليه العشرة المشهود لهم بالجنة وقال فيه السيوطي رواه اكثر من مائة من الصحابة

(١) سياتي ما يتعلق بزيادة لفظة متعمدا

ولما اشتمل عليه هذا الحديث الصحيح من شديد الوعيد الذي ليس بعده من مزيد كان بعض الصحابة يقلل من رواية الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ففي الصحيح عن انس رضي الله عنه انه قال ليمنعني ان احدثكم حديثا كثيرا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من تعمد علي كذبا فليتبوأ مقعده من النار وفي صحيح البخاري وغيره عن عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما قال قلت للزبير اني لا اسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث فلان وفلان قال اما اني لم افارقه منذ اسلمت ولكني سمعته يقول من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار زاد الدارقطني والله ما قال متعمدا وانكم تقولون متعمدا

ولعظم ضرر الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم الذي ربما حول وجهة الدين وقلب بعض حقائقه ترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لمن عرفه هو بالامانة وكمال التقوى ابي موسى الاشعري رضي الله عنه حين روى[1] له حديث الاستيذان لتاتيني على هذا بالبينة فقام ابو سعيد الخدري رضي الله عنه وشهد معه فقال عمر لابي موسى اني لم اتهمك ولكن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغم كون علماء الحديث خدموا الاسلام خدمة كبرى بتبيين الصحيح من الضعيف والثابت من الموضوع لم يزل بعض خطبائنا (هداهم الله للصراط السوي) يروون الحديث في خطبهم الجمعية وان كان موضوعا بقصد الترغيب الذي لا يرتضيه الشرع وينفر منه العقل والطبع كما ستقف عليه (بحول الله) مفصلا ولا نظلم الخطباء بنسبة التقصير اليهم وحدهم بل بعض الجلة من العلماء يكتفون من الاستدلال بالحديث بمجرد كونه قيل (وان لم يعلم درجة الناقل) : روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

جزى الله عنا سلفنا الذين سبقونا بالايمان وخدمة اهله احسن الجزاء فليس في معرفة الحديث الصحيح من غيره اليوم كبير العناء .

فاذا ولينا وجهتنا لبيان بعض الاحاديث الموضوعة على التحقيق[2] مع نتف من اسباب وضع الحديث ودواعيه كان ذلك من باب التذكير .

(١) القصة في صحيح البخاري — (٢) قلنا ذلك لان بعض من الف في الحديث الموضوع تساهل فحكم بالوضع على احاديث ربما كانت صحيحة

الدواعي لوضع الحديث

لو لم يقف الباحث على الاسباب التي عدها علماء الحديث لما كان يظن ان يقدم على وضع الحديث الا زنديق مارق ولكن يا للاسف نجد من بينهم الزهاد والوعاظ وضعوا الحديث بدعوى الحث على الخير او الردع عن الشر ويتسلل من يضع منهم الحديث من الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم بانه كذب له لا عليه كما حكوا عن ابي عصمة المروزي انه وضع احاديث في فضائل السور وقال اني رايت الناس اعرضوا عن القرآن فوضعت هذه الاحاديث حسبة ولعمري ليس هذا بعذر يزحزحه عن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبعض المبتدعة كالكرامية يجوزون الوضع في الترغيب والترهيب وهو خلاف اجماع المسلمين الذين يعتد بهم في الاجماع .

ولا حاجة تدعوا الى ذكر اسماء الاشخاص الذين وضعوا الحديث لان الكتب المؤلفة في الجرح والتعديل والضعفاء والمدلسين قد كفتنا مؤنة ذلك وانما نذكر بعضا على سبيل التمثيل .

فمن الزنادقة الوضاعين للحديث محمد بن سعيد الشامي فزاد في حديث انا خاتم النبيين لا نبي بعدي : الا ان يشاء الله .

ومن دواعي الوضع جلب الناس الى حظيرتهم واخذهم للعمل على شاكلتهم كحديث اشتهر عندنا وهو من وضع المشركين « لو احسن احدكم ظنه بحجر لنفعه » قال ابن القيم الجوزية هو من كلام عباد الاصنام الذين يحسنون ظنهم بالاحجار ومنها الحرص على التقرب من ذوي السلطة والحكم كمن زاد في حديث لا سبق الا في خف او حافر او نصل او جناح لما رأى امير وقته معجبا باقتناء الحمام .

ومنها التغالي في حب شخص كالاحاديث الموضوعة في فضل الامام ابي حنيفة او الامام الشافعي او حب بلاد كالاحاديث الموضوعة في فضل مصر او فاس ومنها الحسد وشدة البغض كالاحاديث الموضوعة في ذم الترك

الوعظ والإرشاد

الدعوة الى الاصلاح واثرها في المجتمع

« ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن »

الارشاد والسؤال دعامتا الاصلاح — ما يكتنف المصلح من النزعات — الدعوة الى التجديد — المحافظون والمجددون والمحايدون — هل التجديد ضروري في حياة الامم — اماطة اللثام عن وجه الحقيقة في التجديد —

اذا كانت النتيجة التي بلغنا اليها في بحثنا السابق ان امر الاصلاح يعتمد على ركنين الارشاد ـ والسؤال • وشرحنا بعض نقط يلزم المرشد ان يعيرها جانبا من اهتمامه • ولا يليق بمن ينصب نفسه ليقوم بهذا الامر الخطير ان يتغافل عنها لا سيما وهو يكتنفه من النزعات ما يكون في بعض الاحيان سببا في صده عن بلوغ الغاية التي تصبو نفسه اليها وحائلا دون الهدف الذي يرمي اليه • والناس جماعات هذا متحفظ وذاك ناقم عليه

ومنها ان يرى بعض من ينتسب للصلاح رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ويحدثه بكلام ثم يستيقظ ويحدث بذلك الحديث من دون ان يذكر انه منام وكان الواجب عليه بيان ذلك ليعلم السامع الحال لان رؤيا المنام لا تثبت حكما وان كانت رؤيته صلى الله عليه وسلم حقا فالكلام الذي يسمعه الرائي في منامه تارة يكون تلقيه صحيحا موافقا وتارة يكون غير صحيح بحسب طهارة روح الرائي وجسمه

وقبل ان نسبح بك في خضم احاديث اشتهرت بين اظهرنا عامة وخاصة نعرج بك على ذكر علامات وضع الحديث

يتبع

خادم الحديث : محمد الصادق النيفر

يرميه بالجمود ويدعوا الناس الى آراء ومباد جديدة هي في نظره نبراس الهدى للمهتدين

وما الدعوة الي التجديد التي شغلت افكار ابناء هذا العصر وما يقابلها من التحفظات والمجهودات التي تبذل في صد الناس عن الاصغاء اليها والتاثر بها الا نوع من تلك النزعات التي تحف بالمرشد . وانه ليلذ لي ان ابسط في هذا المقام القول في كلا النظرين وما يصاحبهما من الاراء

التجديد . كلمة رددتها ألسنة ابناء هذا العصر في مختلف الاقطار الشرقية . ونزعة توخوها لانقاذ اممهم مما بدالهم عدم صلاحه من نظم وعادات قاسوها على ما تعارفته امة اخرى غير امتهم فادركوا ان ما عليه قومهم جدير بالنقض حتى يسهل احلال غيره محله . ولم يقف بهم السير عند منتهى هذا الطريق بل استعدوا لمقارعة ما هو ادق من هذا وذاك الا وهو العقيدة وما تدين به امتهم فزعموا ان تعاليم الدين قد التبس فهمها على الخاصة فتضلل العموم . وما حسبه الفريق الاول والثاني بانقياده له سبيل السعادة هو عند الناقد منهم لا يمت الى السعادة بسبب فنازعهم في ذلك اولئك المتحفظون وكونوا لانفسهم جبهة متراصة محكمة النظام وأسلاكا شائكة دبروا استحكاماتها في وجه خصومهم المجددين .

وقاموا بحملات استدامة لما عليه الناس وتحفظا منهم ان يعبث اصحاب النزعات بكيان الامة مسايرة لبوارق الاصلاح التي تفتق لهم عبيرها من تلك الاكمام التي لم يتربصوا لبحثها هل هي اكمام اقحوان ظاهره فيه نعومة الجمال وباطنه عذاب ام هي اكمام القرنفل طيب الظاهر والباطن

فنسف خصومهم هذا الزعم بمنطق غير مألوف افضى بتمسك كل طائفة بنظرياتها واتسع الخلف . ودعا كل واحد قومه لمباديه . ولكن كانت النتيجة بعد ذلك ان انقسمت صفوف الامة وتحزبت على نفسها ولا يعلم الا الله كيف ستكون النهاية اذا لم يتنبه القادة الى هاته الاخطار نعم اتسع الخلف ونحل كل فريق الى الآخر ما يناقض المبادي التي رسمها لنفسه ووصف احد الفريقين خصمه بالالحاد فرماه الآخر بالجمود والضلال .

وهناك فريق آخر جلس على الربوة ولم يغامر بنفسه وينضم الى احد المتنازعين واذا خاطبت احدهم في هذا الشان اجابك على البديهة ان هذه نتيجة طبعية لكل امة نامت نومة طويلة ثم نهضت من كبوتها فوجدت من ابنائها من يدعوها الى مسايرة ناموس الحياة والتأثر بروح العصر الذي تحيا فيه والبعد عن التقليد واستنشاق نسيم الحرية الطلق

كما وجدت من ابنائها ايضا من يحافظ على تراث الاجداد ويفهم من الحياة انها المحيط الذي يكتنفه ويستقي من مورده المألوف له ويتشاءم من تبديل الخطى ويشن الغارة على كل من لا يرى رأيه ويحذر قومه بكل ما أعطي من قوة ونفوذ سوء العاقبة ان هو انصاع لتلك الدعاوي وهاتيك الاباطيل

وعندي ان هذا الراي الذي خامر بعض العقول فوصف احد الفريقين بالمجدد والآخر بالمحافظ . وتصور ان هاته الحالة التي عليها الفريقان امر طبعي في حياة الامم ورأى ان العاقل يلزمه ان يتربص حتى يرى الغلبة لمن تكون وذلك تطاحن لا بد ان تكون له نهاية ونهايته تكون بحسب ما في الامة من معدات الحياة انما تسرب لبعض الاذهان وتاثرت به واصبح هو المنطق المألوف لهم ليخففوا به وطأة ذلك النزاع القائم على قدم وساق ويلبسوه ثوبا يحجب عن الانظار مساوي الاختلاف الذي استحكمت حلقاته .

ونحن اذا نظرنا نظرة الناقد البصير من غير تحيز لاحد ورسمنا لانفسنا مقدمات اولية مسلمة من الجميع افضى بنا ذلك الى نتيجة يذعن لها العقل السليم من غير ان يعمد بعد الى نسفها او ان يعود وهو يتعثر الى مقدماتها الاولى لنقضها او عدم تسليمها بعد ان اذعن بصحتها وان الخلل لم يتخللها . وذلك ان التجديد كلمة واسعة النطاق تعبر عن معان مترامية الاطراف تفسح لها اسباب تنازع البقاء مجالا لتبوئها المقام الاسمى الذي ترتكز دعائمه على مقومات العالم الانساني الذي اذا توفرت له اسباب السعادة في عصر من العصور حسبما أدرك ما هو مسمى السعادة من عاش في ذلك العصر قد يعتري تلك الاسباب ما يزيل بعضها او كلها او تصبح غير مفضية الى انتاج ما هو من ضروريات

الحياة العامة فضلا عن غيرها من الكماليات . وهذا العقل البشري نراه كل يوم يخوض غمار البحث ويجندل بسلاح التفكير ما يسجله من اختراعات العصر الذي حدث فيه وبعبارة ادق هو في كل يوم يكشف له عن سر من اسرار هذا الكون الذي شاء مبدعه ان يساير بعضه بعضا في الظهور والاستفادة منه رويدا رويدا ما قدر لهذا العالم من بقاء

وما الكهرباء مثلا الا سر من اسرار الكون خفي على قسم ممن عمر هذا العالم وظهر لآخر . ولم يكن لمكتشفه يد الايجاد بعد العدم ضرورة انها موجودة في العالم من يوم خلق الله العالم بتسليم الكل حتى من المكتشف نفسه

ونقول هذا لا على معنى استصغاره والتحقير من شأنه في الانظار واني لنا بمثل هاته القرائح التي توفقت لتسجيل مثل هذا الاكتشاف الذي اصبح العقل بعده يتصور الحياة لا على نحو ما كانت عليه عند من سبقنا من الامم ويفهم من السعادة غير ما استقر في النفوس بل اضاف سببا الى اسباب السعادة المنشودة التي هي غاية الجميع

وقافلة الحياة لا يتسنى لها ادراك الغاية الا بقطع مرحلة تلو اخرى وهذا يعتمد على تجديد الخطا . فلا جرم ـ اذا قلنا ان التجديد امر رسمه الله على صحيفة العالم واكسير الحياة بالغريزة لا بالاختيار

ولا احسب ان هناك من لا يشاطرنا على ذلك من الفريقين ونحن اذا اتصلنا بهذه النتيجة وطلبنا من الفريقين تسليمها بعد تسليم مقدماتها لم نكن قد عمدنا الى مقدمات سفسطائية لنغالط احد الفريقين ونفضي به الى ما يفر منه ترجيحا لاحد الشقين وتلبيسا على الفريق الآخر حتى اذا رام الخروج من المأزق وجد امامه جمعا من الامة تاثر بتلك المقدمات التي شرحت له واقتنع بها واذعن لنتائجها وناصرها بكل ما لديه من اسباب المناصرة

ولاكنا محبذين لتلك المبادي التي دعا اليها دعاة التجديد ومعتبرين ان نزعاتهم هي الاسس التي سيقام عليها صرح مجد الامة انما غرضنا من هذا كله اماطة اللثام عن وجه الحقيقة حتى تنجلي كما هي ويزول الالتباس ويعود الى كل رشده فيبحث بمنطق مالوف ويصعد على متن التفكير الصحيح ليصل به الى الكمال

محمد الشاذلي بن القاضي



صحيفة من تاريخ تونس

كيف نشأت خزائن الكتب لدراسة العلوم بجامع الزيتونة

بقلم العالم المؤرخ السيد محمد بن
الخوجة المستشار لدى الحكومة التونسية

الى حضرات الشيوخ المثقفين الفضلاء . اركان المجلة الزيتونية دام بهم النفع .

نظرتم لشخصي الضئيل في صفحة مرآة كمالكم فحشرتموني بحسن ظنكم في صعيد واحد مع طائفة من اقطاب العلم بجامع الزيتونة وعلقتم على قصوري آمالا واسعة كانت في عنقي قلادة فخر متينة لا مناص من الانقياد لحكمها حيث تفضلتم باضافة اسمي لسلسلة اولئك الفضلاء الذين طرزتم بذكرهم ديباجة الجزء الاول من المجلة الزيتونية التي اتحفتموني بها اثر ايابي من السفر بالجهات الجبليه الواقعة بين فرنسا وإسبانيا حيث الغروس النضرة والهواء العليل والمياه المتدفقة وقد سرحت طرف الطرف فيها فاذا هي روضة غناء يفوق جمالها حسا ومعنى ما تقدم وصفه من تلك المناظر الطبيعية البهية وبالتالي فكرت فيماذا يناسب ان يكون فاتحة للمقتطفات التاريخية الجديرة بمجلتكم العلمية فلاح لي اعتبار هذه المجلة الجامعة كجزء متمم لاقوى اركان العلم بجامع الزيتونة يعني ثمرة ما ابتكرته العقول وخطته اقلام الكاتبين في بطون الاوراق المحفوظة بخزائن الجامع لذلك وقفت عندها وجعلتها البحث المختار للتعريف بها من الوجهة التاريخية ولكني رايت من تعميم الافادة ان نجعل لذلك مقدمة وجيزة شاملة لتاريخ ظهور خزائن الكتب في الاسلام ثم نلحق بها تاريخ خزائن الكتب بجامع الزيتونة مفصلا والله المعين

اعلم ان عناية المسلمين بالكتب والترجمـة والتدوين كان ظهورها اولا في مبادي الدولة العباسية على يد الخليفـة ابي جعفر المنصور وفي مدة هـارون الرشيد وجد بيت الحكمة ببغداد وهو عبارة عن مدرسة للترجمة ونساخة الكتب وكان ازدهارها في زمن ابنه عبد الله المامون وفي عنفوان الدولة كانت لهم خزانة كتب فيها ما لا يحصى من الاسفار اكلتها النيران فيما روي بايعاز من الصاحب بن عباد لاحتوائها على النسخة الوحيدة الموجودة بالعالم الاسلامي من تفسير الاشعري المسمى بالمختزن وهو في خمسمائـة مجلد قالوا انه بذل في ذلك عشرة آلاف دينار لحافظ تلك الخزانة ليلقي النار في كتبهـا نكاية في تفسير الاشعري المشار اليه وكان لمشاهير العلماء والادبـاء في ذلك العهد من خـزائن الكتب ما يضارع المكاتب العمومية فقد بلغت كتب الصاحب بن عباد المتقدم ذكره الى حد ان يحتاج في نقلها الى اربعمائة راحلة ومن خزائن الكتب العامة التي اشتهـرت في تلك الازمـان خزانة الامير نوح بن نصر الساماني في المائة الرابعة وممن انتفـع بكتبها الشيخ الرئيس ابن سينا وعاصرتها مكتبة الوزير سابور بن اردشير ببغداد كان بها اكثر من عشرة آلاف مجلد منها مائة مصحف بخطوط بني مقلة وهذه الخزانة افنتها النار في سنة ٤٥١ واعتبر ما حكاه ياقوت الحموي عن نفسه في كتابه معجم البلدان حيث قـال حاكيا عن مدينة مرو ما ننقله عنه بحروفه « فارقتها وفيها عشر خزائن للوقـف لم ار في الدنيا مثلها كثرة وجودة » ثم وصف اولاهـا ثم الثانية وقال كان بهـا اثنا عشر الف مجلد ثم البقية ثم قال « وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد واكثره بغير رهن تكون قيمتها مايتي دينار فكنت ارتع فيها واقتبس من فوائدها وانساني حبها كل بلـد والهاني عن الاهل والولد واكثر فوائد هذا الكتاب (معجم البلدان) من تلك الخزائن » وتنافس ملوك المسلمين في تلك النهضة العلمية فكان منها لامراء الاندلس بالمغرب ما لبني العباس بالمشرق ومن ذلك مكتبة الحكم بن الناصر بقصر الزهراء بلغ فهرسهـا الى ٤٤ مجلدا وبلغت كتبها الى اربعمائة الف مجلد وكان بغرناطة وحدها سبعون مكتبة عمومية عامرة بنفائس الكتب التي جعلها الملك فرديناند الخامس (شهر الكاتليكي لتحمسه في النصرانية) من نصيب النار اثر سقوط دولة الاسلام بالاندلس قالوا ان ما احرقه فرديناند

بجهله وحميته الدينيــة تجاوز الف الف من المجلدات المخطوطة بالقلم فيا لها من معرة في وجه تاريخ الانسانية ومعلومك ان من بلاد الاندلس كان اشراق شموس العلم وقد بلغت اشعتها لهذه الديار في عهد بني الاغلب امراء القيروان فرحل من رجالها جماعة في طلب العلم منهم اسد بن الفرات وعبد الله بن غـانم وسحنون وعند رجوعهم لافريقية اخذ العلم في الظهور والانتشار كما ظهرت اول مكتبة عمومية بالقيروان وكان بها من نفائس الكتب ما لا يقدر بمال واغلبها منسوخ على رق الغـزال ومنها المصاحف الجليلة المزركشة والمزوقة بالذهب الوهاج منها مصحف فـاطمة حاضنة باديس وما زالت منها بقية بجامع عقبة بن نافع لهذا اليوم اما هذه الخزانة القيروانية فقد ذهبت شذر مذر اثناء الفتن التي تناولت مدينة القيروان في القرنين الرابع والخامس ثم اجهزت على البقية الباقية منها فتنة دخول مراد ابي باله في سنة ١١١١ للقيروان وفتنة حصارها من البـاشا علي بن محمد للاجهاز على عمه المولى حسين بن علي باي في سنة ١١٥٣ واما خـزائن الكتب بمدينة تونس يعني بجامع الزيتونة وهي المقصودة بالذات من هذه النبذة التاريخية فاول ما ظهر من ذلك الخزانة العامة التي احدثها ابو فارس عبد العزيز الحفصي في سنـة ٧٩٧ وجعلها بالجامع المذكـور بمجنبة رصد الهلال وعلى قياسه جرى عمـل حفيـده السلطان ابي عمرو عثمان فقد اضاف في سنة ٨٣٩ لخزانة جده خزانـة اخـرى مشتملة على اهم الكتب وضعها بالمقصورة الشرقية بالجامع وتعرف بمقصورة سيدي محـرز بن خلف ثم تلاه حفيده ابو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد المسعود فاسس في اوائل المائة العاشرة المكتبة المعروفة بالعبدلية التي سياتي الكلام عليها وجعـلها بالرواق الشرقي بالجامع مشرفة على جهة سوق العطارين وجميع هذه الخزائن الثلاث عبثت بهـا الايـام اثناء الاحتلال الاسباني لتونس في عام ٩٨٠ قالوا انهم مزقـوها كل ممـزق حتى كانت تباع بابخس الاثمان او تدوسها سنابك خيولهم المرابضة بصحن جامع الزيتونة فقد ذكر بعض المؤرخين ان المار حول الجامع من جميع جهاته لا تكاد تقع قدمه على غير الكتب فبادت جميع الكتب وتلاشت ولم يبق منها بالجامع الا بضع نسخ من صحيح الامـام البخاري وامسى العلم بتونس كشمس على مغيب حوالي القرن الحـادي عشر ومما زاد

نجمه افولا تعاقب الاوبئة في ذلك العهد منها وباء عام ١١٠٠ قال الوزير السراج ان العلم انقطع من تونس بذلك الفناء المتعاقب وذلك من بقية الاسباب التي اتت على ما تركته ايدي الفتن والسرقة لان الكتب لا تعيش طويلا بين غير اهل العلم ولما اراد الله اخراج هذه الديار من ظلمات الجهل الذي ارخى عليها سدوله في تلك العصور اشرقت عليها شمس البيت الحسيني فتوجهت عناية الباي حسين بن علي تركي رأس العائلة الحسينية الى بناء المدارس ونسخ الكتب لاسيما كتب الفقه واجتهد في ذلك لحد تكوين خزانة معتبرة وقفها على المحكمة الشرعية بتونس منها نسخة المدونة المحفوظة الآن بالمكتبة العبدلية وفاقه في هذا الميدان حفيده للاخ الامير العالم الباشا علي بن محمد صاحب النهضة العلمية اذ أرسل للاستانة مفتي دولته الشيخ حسين البارودي لاشتراء اكثر ما يمكنه اقتناءه من احسن الكتب وابدعها خطا وتزويقا وتذهيبا جمعها بمكتبته التي جعلها بمسجد بيت الباشا بباردو وكان في جملتها من الكتب النادرة اذاك حواشي الكشاف التي لم تكن موجودة قبل ذلك بين اهل العلم بتونس كما اسس الباشا المذكور مكاتب اخرى بمدارس الطلبة للمعلمين والمتعلمين فكان هذا الامير الذي خلط في مدته عملا صالحاً وآخر سيئاً هو ابو النهضة العلمية الاولى في العصر الحسيني الا ان كتبه تلاشى منها الكثير بامتداد يد النهب اليها من باي قسنطينة الذي شارك في النزاع الحاصل بين الباشا المذكور وبين ابني عمه محمد الرشيد باي وعلي باي اللذين استرجعا منه بالقوة القاهرة ملك ابيهما المغصوب في سنة ١١٦٩ وفي خلالها كان مصرع الباشا المشار اليه قال شاعرهم :

وامسى دفيناً بعد ان كان دافنا ❀ فقلت وقد ارختــه دفن الباشا

١١٦٩

ويستفاد من فهرس قديم موجود بمحفوظات الدولة التونسية ان الكتب التي كانت بمسجد بيت الباشا بقصر باردو عند صعود المرحوم محمود باي على الاريكة الحسينية في سنة ١٢٣٠ كانت جملتها ٢٧٢٦ مجلدا وكان الامراء يتفاخرون بها بين اهل العلم فقد كان الباي حسين بن محمود باي واخوه مصطفى باي بدوره يشيران على شيوخ المجلس

الشرعي عند اجتماعهم بمجلس الباي في قصر باردو بمراجعة ما شذ من كتب الفقه لديهم بمكتبة مسجد بيت الباشا عند حصول خلاف بين الشيوخ او عند الحاجة للوقوف على عبارة نص بعينه . هذا ولما كان الناس على دين ملوكهم اقتدى بصنيع ملوك البيت الحسيني وزراؤهم ومنهم ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع فقد احدث مع جامعه بالحلفاوين خزانة عامرة بانفس الكتب في شتى العلوم وممن استفاد من كتبها شيخ الشيوخ وطود الرسوخ الشيخ ابراهيم الرياحي قدس الله روحه أما جامع الزيتونة الذي فارقناه على حالة الفراغ التي كان عليها اواخر المائة العاشرة واستمر كذلك حتى القرن الثاني عشر فقد كساه ثوب العلم والفخار الامير المشير احمد باي الاول اذ وفقه الله لتأسيس دراسة العلم به مع تعميره بخزائن الكتب النافعة صدر منه ذلك في سنة ١٢٥٦ بما اطلق السن العلماء والشعراء بالثناء عليه والحمد لله والشكر اليه وخطب بذلك على رءوس المنابر تنويها بشأنه بين القابل والغابر ومن ذلك ما خطب به بركة القطر ابو اسحاق ابراهيم الرياحي على منبر جامع الزيتونة وهي خطبة امست وثيقة تاريخية ننقلها هنا اتماما للفائدة ونصها .

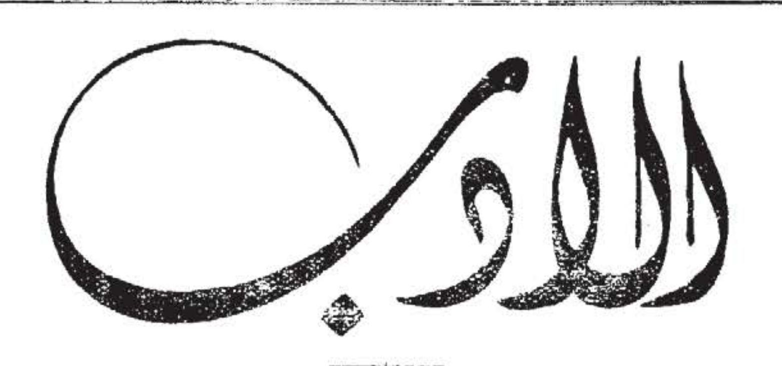
الحمد لله الذي رفع للذين اوتوا العلم درجات لما خفض لاهل الجهل دركات افمن جعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات احمده وحمده من جملة ما به انعم واشكره على ما علمنا ما لم نكن نعلم واشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له شهادة رفع العلم قواعدها واسس اليقين براهينها وشواهدها واشهد ان سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار الذي ارسله بنور يكاد سنا برقه يذهب بالابصار صلى الله عليه وعلى ءاله واصحابه ومن تبعهم باحسان ما تعاقب الليل والنهار . ايها الناس هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب الم تعلموا ان الجهل نعت الخلق والعلم وصف رب الارباب الم تعلموا ان ابانا آدم فضل بعلم الاسماء وامر بالسجود اليه ملائكة السماء والعالم الاسمى وقالوا نحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون الم تعلموا ان الدين علم وعمل فمن لم يكن له علم فعلى اي شيء حصل ايظن الجاهل انه ذو بصر نافذ في الامور كلا بل هو رجل اعمى مغرور فانها لا تعمى الابصار ولكن

تعمى القلوب التي في الصدور وحيث كان العلم بهذا الشرف الاثيل والرتبة العليا التي ليس لها مثيل فما للهمم متقاصرة عن استطلاع طوالع انواره وما بال العزائم متقاعدة عن استكشاف خبايا اسراره اخور في الطباع ام فقد لمواد الانتفاع كيف وقد تيسرت في هذا الزمان المبارك اسبابه وفتحت للمعلمين والمتعلمين ابوابه وتضوعت في بيت الله اعطاره وطلعت فيه شموسه واقماره وذلك بهمة الملك الهمام الخطير الباي احمد باشا المشير الذي وسع الجم الغفير بالعطاء الكثير ليجد ثوابه عند الله مدخرا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا واعلموا ان العلم النافع ما قارنه الاخلاص في التعلم والتعليم والعمل بما يحكم به من التحليل والتحريم والا كان جديرا بان ينبذ بالعراء وهو سقيم وقد مثل العلماء العلم النافع بشجرة ثابتة الاصل حلوة الثمرة يستريح برائحتها المحزون ويستلذ طعمها الآكلون وغيره بشجرة مالها قرار خبيثة الرائحة مرة الثمار يستمج رائحتها المستنكهون ويستبشع مذاقها الطاعمون وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون. في الحديث الشريف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلماء ورثة الانبياء وقال صلى الله عليه وسلم يستغفر للعالم اربعة اشياء الملائكة في السماء والطير في الهواء والدواب في القفار والحيتان في البحار وقال صلى الله عليه وسلم فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة وعن ابي ذر رضي الله عنه حضور مجلس عالم خير من صلاة الف ركعة ومن عيادة الف مريض ومن شهود الف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال صلى الله عليه وسلم وهل ينفع القرآن الا بالعلم. جعلني الله واياكم ممن علم وعمل واخلص الله فقبل. الا ان انفع ما تنشرح به الصدور واصدق حديث منطوق ومسطور كلام مولانا الغفور الشكور اعوذ بالله من الشيطان الرجيم « انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور » اهـ.

وقد وصف المؤرخ الوزير الشيخ احمد بن ابي الضياف هذه المنقبة المشيرية الاحمدية بقوله « يا له من عمل ذلل صعاب العلوم وراضها وأنشأ حدائقها ورياضها واجرى جداولها وحياضها واصاب شواكلها واغراضها نسج على اعز مثال انهل به ودق العلم واثال وسرى ذكره مسرى الامثال »

يتبع

محمد بن الخوجة



الشعر

ما بال روض الشعر ساءت حاله ... اقضى عليه من الصروف كماله ؟
فتاودت اغصانه وتساقطت ... اكمامه وتقاصت اظلاله
اين الخمائل وهي ترقص للصبا ... رقص الشجي تحققت آماله
قد ضاع طفل الشعر من كنف الربى ... لما تكامل حمله وفصاله
اعداه من ديم السماء وليها ؟ ... فتغيرت ازهاره وغلاله
ام ان عادية النفوس سطت على ... ذاك الحمى فتروعت اطفاله ؟

***

الشعر قد ساس الممالك والنهى ... فتفيأت ظل العلا اقياله
كم بث من خلق وكم اسدى يدا ... حسناته موفورة وخصاله
لوح الحوادث في الدهور وسفرها ... للذكر والتاريخ خط مقاله
من صدر يعرب كان يقصف صوته ... ومن الجزيرة جهزت ابطاله
فقضت على روما وفي شعرائها ... من لا يطاق لدى القراع نزاله
وزرت على يونان في فتيانه ... وهم اولو الراي الحكيم وءاله
لله يعرب كم شدت بفخاره ... عصر وشرفت الدنا اشباله
سل مشرقيها عن صروح علائهم ... هل بزها فلك السما وهلاله
مجد لعمرك قد أذم مقامه ... في العالمين علاؤه وجلاله
ابطالهم اسد بساحات الوغى ... وكرامهم ديم الندى ومناله

رق المشاعر في يمين قريضهم … والشعر يمتلك النفوس جماله
كم سار تحت لوائه من اروع … ولكم تحكم في الكماة خياله
وكم ارتوى الحكماء من مسقاته … ولكم طوت من ازمن امثاله

***

هيهات ان يلد الزمان مخلدا … في موضع الف الحمام رجاله
في امة ملك الغرور عتاقها … فقضت على الخلق النبيل فعاله
شعر الخلود قضى ومن ذا يرتجي … فتحا لباب احكمت اقفاله
ولى مع الماضي واقفر ربعه … واستمطرت ديم النهى اطلاله

***

يا خاطبا في الشعر منزلة السهى … قصر فذاك من الزمان محاله
الشعر قد الف المدارك مكنسا … وبمثل جحرك لا يحل غزاله
الشعر يتبع الخطى في سيرها … وبقيمة الالباب تعرف حاله
الشعر مأثرة الحجى ونتاجه … فاولو الحجى بين الانام عياله
من غر بالبسطاء حتى املوا … منه الوصال وهل يهون وصاله
ما للقريض وهيكل ضعفت به … روح الحياة وقطعت اوصاله

***

من كان في طلب العلاء مقصرا … ضنت عليه بوصلها آماله
وقضى الحياة كنائم لعبت به … حلم الكرى فتناقضت اعماله
بئس الغرور وويح من اودى به … ولبئس عصر قد طغى جهاله
فاستبدلوا غرر الكلام بلغوه … واللغو اقبح ما يكون مقاله

***

يا ايها النفر الزري بضاده … المذرف الدمع المصون ضلاله
الضاد منك بريئة وكفى لها … فخرا كتاب الله جل جلاله

الطاهر القصار

التجديد في الادب



وادل العصور الادبية على هذا التجديد الطبعي الذي لم يخرج بالادب عن روحه العربية العصر الاموي ثم بعض العصر العباسي فأدب العصر الاول يمتاز بجزالة اللفظ وقوة المعنى وينفرد بالمتانة التي نجدها في الادب الجاهلي لاسيما في الاغراض التي كانت محل العناية في ذلك العصر كالحماس والفخر والرثاء والهجاء لكن بعد ان عمل فيها التجديد عملا واصبحت اثرا ظاهرا لقابلية الادب للتجديد مع تطور المدنية

واما العصر العباسي فقد كان بعضه مثلا عاليا في سمو الادب ونفاق سوقه وبلوغه الى غاية بعيدة المدى من حيث سلاسة المبنى ورقة المعنى وقد خلد من كلا العصرين افذاذ هم في اليوم والغد محط النظر في الادب ومرجع فحوله ـ وقد بان مما اسلفنا ان العصر العباسي اكثر تجديدا في الادب ان لم نقل انه المظهر الحقيقي له ومن اعظم اركانه شاعر العراق ابو نواس الذي يقول

دع الرسم الذي دثرا يعاني الريح والمطرا

لكن الناقد البصير تجاه ادب هذا العصر لا يخفى عليه الفرق بين العصرين ولاضعف الادب العباسي بالنسبة للادب الاموي وقد لا تتحد الآراء في هذا الادعاء سيما وقواعد النقد كانت ولا تزال محل الخلاف والجدل بين النقاد فترى كل ناقد يعتمد في نقده على قواعد واسس ينشئها لنفسه بنفسه والحق ان النقد لم تقعد قواعده بعد ولم تثبت اصوله التي يجب ان تعتمد

ويمكن ان نختصر طريقة النقد عند القدماء وغيرهم استطرادا فنقول . لا خلاف في ان الشعر الحي هو ما نتج عن احساس وتولد من شعور وانبعث من كن اللب ومخبي الضمير لا ما تكلف نظمه لخير يراد او نقمة تذاد لكن القدماء يتذوقون الشعر وغيره بالذوق العربي السليم فينتقدون جيده من رديئه بما لهم من خبرة ودراية وطول باع في

دراسة الادب ومعرفة فنونه وتفهم نفسية الاديب من درس عصره وحضارته وبيئته بدون ان يجعلوا حيثيات احكامهم في ذلك مبنية على الاغراض المطروقة من الكتاب والشعراء لاعتبارهم ان الاحساس والشعور اللذين هما روح الشعر على الاخص يوجدان تارة في المديح والهجاء والوصف والخماس وغيرها من الاغراض وينعدمان اخرى . وسواهم يرى ان الشعر الحي هو ما كانت معانيه جبرانيـة ... تشم ولا تحك والفاظه جوفاء لا اثر للاسلوب العربي عليها سابحة مع الخيـال الصامت في بحر الوجود الصاخب كما يقولـون . . . او ما اتجه الغرض فيه لبيان فلسفة غريبة او معنى سمج خـارج عن حد التفكير او خيال يحمل على عطفيه بردة الادب الغربي الذي تعشقه بعض اهـل العصر الحديث بـدافع تغلب مدنية الغرب على الشرق وقلة ما في اليد من التـراث العربي في اللغة وآدابها الامر الـذي اودى بكثير من لغات العصور الخالية وتركها واهلها حديثا مسطورا .

وهؤلاء المجددون على زعمهم وهم لعمرك معاول هـدم وتقويض اذا وقـفوا على مثل قول ابن سهل الاشبيلي في وصف حال قلبه من لوعة الحب وحرقة الجوى

فهو في حر وخفق مثلما لعبت ريح الصبا بالقبس

او قول ابن حمديس

ضحكت محاسنه اليك كانما جعلت لها زهر النجوم ثغورا

وقوله في وصف بركة بها اسود صناعية من نحاس تقذف بالمياه من افواهها

وضراغم سكنت عرين رئاسـة جعلت خرير الماء فيه زئيرا

وكانما غشى النضار جسومها واذاب في افواهها البلورا

اسد كان سكونها متحرك في النفس لو وجدت هناك مثيرا

وقوله في وصف قصر المنصور ابن اعلى الناس ببجاية

فلك من الافلاك الا انـه حقر البدور فـاطلع المنصـورا

او قول ابن خميس

عجبا لها ايـذوق طعم وصـالها من ليس يـامل ان يمر ببابهـا

البكاء في الشعر العربي

بقلم العالم الاديب الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية

تلك القوافل من عتاق العيس الصاعدة قفاف الرمل المحرق او المرقلة في بحيرات السراب لا تكاد يدفعها الظما لتريح على غدير في ظلال صور

من الكارعات الماء بالقاع تستقي   باعجازها قبل استقاء الحناجر

حتى يجف الغدير دون النهل واذا هي تعاود ارقالها على الحفى والكلالة حتى ترمي بها المفاوز الى الماء الذي لم تزل تشوقها اليه هذه الشقة التي فصلت العلل عن النهل اذا هي رتعت في سواد العراق تحت الظلال المخضلة ثم وردت دجلة وهو يعرض

وانا الفقير الى تعلة ساعة   منها وتمنعني زكاة جمالها

قالوا حديث خرافة يا ام عمرو لاعتبارهم ان الشعر الحي غير ذلك وان الشاعرية لا تكون الامع السلخ من آداب الغير والبكاء معه مما بكى والمرح معه في ساح مدنيته الغالبة ضاربين العروبة في الصميم بالكيد للغة الضاد التي برزت الفحول في الجاهلية والاسلام وشادت باسمائهم في ميادين الادب العالي بما ادهش المشرق والمغرب

وكم يلذ لي ان استعرض نماذج عدة من مثل ما ذكرته لكن خوفي على نفوس حضرات المجددين بل المقلدين الذين لا يوافق مزاجهم هذا النوع من المواضيع يمنع يراعي من الاسترسال ويهتف به ان قف فنفوس اصحابك حداد وانت قد خرجت من غرضك الى الكتابة في تاريخ الاندلس وسرد شعر ادبائها والانتصار لهم قبل ان تصل بين آرائك في التجديد قديما وحديثا الا ان اليراع لم يقف الابعد ان خط هاته الكلمة . لو لم يكن من امر فحول الادباء الذين هم المجددون بحق وامر المتطفلين على موائد الادب الا ان الاولين قالوا فاجادوا وفهموا ما يقولون وفهم الناس عنهم ماقالوه والاخرين قالوا ما لم يفهموا فلم يفهمهم الناس لكفى ذلك دليلا على ما قدمناه واقتنع به من لم يجعل الاهه هواه   (يتبع)   الطاهر القصار

نفسه فارتوت وتشفت ورعت من كلأ الشط خضرة حلوة حتى بطنت وامتدت خاصرتاها .

لم ينسها اينها بالامس نشاطها اليوم ولم تذهل عن ظما الحجاز بري العراق وما تزال بروق الآل تلمع بين عينيها وهي على حاشية النهر الازرق فيزداد حنينها الى حياة الرمال التي لم تزل قائمة بين جنبيها وتدوم حليفة لذكرى هواجرها على ذلك الطريق القاحل حامدة ما لاقت من اللاواء في اشواقها كما قال ابو العلاء

تذكرن مرا بالمناظر آجنا عليه من الارطى فروع هدال

واعجبها خرق العضاه انوفها بمثل ابار حددت ونصال

ولا تزال في اعماق نفسها بنت الشمس والرمال الوفية للظما والكلال وان اخلدت الى التربة الخصبة وسكنت الى الظل الوارف على ضفاف الانهار المزبدة

كذلك شان هذا الشعر العربي نشأ على البداوة في عصر الجاهلية حتى اذا اكتمل شبابه بظهور الاسلام فاض عن مهده يطوف الدنيا ويعبر المحيطين ويكتنف الحضارات القديمة ويستلهم غمامات البحر المتوسط ما اودعتها الاجيال من رقة الفن وسعة الخيال ثم مازج روح الدنيا الجديدة في بغداد فتردد من قصور الخلافة الى نوادي الشطارة وحلق من القمم المثلجة بتبريز الى الرياض الزاهرة بالاندلس فما تغيرت روحه ولا ضاع من اعماقه عهد النشاة وبقيت بداوته الاولى قوام حياته تحقق له وحدته على اختلاف اللمحات وتفيض على المظاهر الجديدة لحياته باكثر مما تستمد منها

وهل لهذه الحياة البدوية الخالدة التي بقيت روح الشعر العربي في جميع اطواره ما يحقق ماهيتها ويميزها عن حياة المدنية والعمران غير خاصيتيها العظيمتين وهما الترحل والغارة الطريقان الطبيعيان للحياة في طور البداوة من تقلبات الامم لاسيما في المناطق المجدبة التي لا تكاد تضرب فيها اطناب الخيام على قليل من العشب والكلا حتى يصوح ربيعها فتدفع غريزة تنازع البقاء احدى القبيلتين الى أن تغير على اختها فاذا هما تتفانيان في الحروب حتى اذا تداركهما الشهر الحرام بالامن والسلم اشتدت وطأة الجدب فاذا الرحال تشد للنجعة واذا المنزل الانيس قفر خلاء والقبيلة تتفرق ركابا يقصد كل

منها الى حيث يأمل مقاما غير طويل على المرعى ينتابه ما انتاب سابقه من حرب ويختم بما ختم به من رحلة

فكان من الطبيعي ان يترك هذان المظهران اثرهما البين في الشعر الجاهلي اذا كان منشؤه في اوساط الرحل من العرب بعيدا عن القرى الخمس التي تعتبر حواضر نسبية[1]

وهذا الاثر يظهر جليا في ماساد الشعر العربي وانبث في اغراضه المختلفة من روح اللوعة وتناوله بواعث اللوعة المتباينة في قوالب خالدة من الشجو والروعة هي التي حققت للشعر العربي منزلته الفائقة من عموم الشعر الاحساسي وابقته على مر القرون مهتف القلوب الجريحة ومتنفس الاكباد الحراء

كيف لا تقوى روح اللوعة ويسود سلطان البكاء في حياة قوامها الترحل والغارة وهما مجلبة لاعظم الارزاء وابلغ بواعث البكاء الفراق والموت

اما لوعة الفراق فاثر روحي ناشىء عن الارتحال يحس به افراد من القبيلة عكسا لما يحس به مجموعها

اذ لا بد للقبيلة من ان تكون قد ضمت مدة الاقامة افرادا من شبانها وجدت ارواحهم من بعض فتيات القبيلة المجاورة ما تانس اليه وتشعر نحوه بالالفة القديمة المتسلسلة من علاقات الارواح في عالمها العلوي تبعا لناموس الازدواج النوعي كما قال جميل

تعلق روحي روحها قبل خلقنا ومن بعد ما كنا نطافا وفي المهد

فتنشا العلاقات الغرامية بين شباب القبائل مقرونه بالبكاء والكآبة في كافة اطوارها كما قال ذو الرمة

هل الحب الا زفرة بعد زفرة وحر على الاحشاء ليس له برد
وفيض دموع العين يامي كلما بدا علم من ارضكم لم يكن يبدو

ولنتجاوز ما لا يهمنا هنا مما يقاسي المحب عند نشاة المحبة من سهام النظر وشبوب

(١) انظر طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي

النيران ثم ما تفعل به حمى الاشواق الاولى من السهاد وشرود الفكر وانصباب الدمع كما قال وضاح اليمن

ولقيتها تمشي بأبطح مرة بخلاخل وبحلة اكباش

فظللت معمودا وبت مسهدا ودموع عيني في الرداء غواش

ثم ما يلاقي من اعراض المحبوب او تصاممه الى سفحه لديه دموع الشكوى التي لم تخل منها عين عاشق حتى قال ابو الطيب

اتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي

ولنقف على لوعة الفراق نستجليها في المظاهر المختلفة التي تنغص بها على المحبين فنرى الارواح المتآلفة في سكراتها العشقية ذاهلة عما بين القبائل من نزاع وما هم فيه من تطاحن طائرة على اجنحة الغرام الى سماء الايثار من حيث تنظر الى سائر الدنيا بعين السخرية كما نظر ابو فراس اذ يقول

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والانام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب

حتى اذا حمي وطيس الحرب وتصاعد غبارها ففرق بين العشيقين واخذ الشاب الى ساحة الحرب لا يلتفت الى ما ترك وراءه من هوى مقطوع ودموع منهمرة كما قال كثير

اذا ما اراد الغزو لم يثن عزمه حصان عليها عقد در يزينها

نهته فلما لم تر النهي عاقه بكت فبكى مما شجاها قطينها

ولم يثنه عند الصبابة نهيها غداة استهلت بالدموع شؤونها

ولكن مضى ذا مرة متثبتا لسنة حق واضح يستبينها

وبدأ يقاتل قوما ملء قلبه الاشواق الى ابنتهم فاجتازت نفسه بين غرامه وواجبه وغلبه التيار حوله فاندفع تعمل يده للواجب ويهتف قلبه بالغرام متعجبا من حاله تعجب عنترة اذ يقول

علقتها عرضا واقتل قومها زعما لعمر ابيك ليس بمزعم

او راهبا طوارئ الفراق رهبة جميل اذ يقول

كأن لم نحارب يابثين لـوانها تكشف غماها وانت صـديق

فاذا وضعت الحرب اوزارها وراجع المتحابان عهود الوصال لم يتح لهما صفاء غمرة الحب الاولى بسبب ما يطرأ على العلاقات من المنغصات التي اولها ان الفراق الذي مارسه وقاسى لاواءه لا يغيب شبحه الهائل من بين عينيه فلا يزال يعاوده بين الفترات مهددا بقرب الرجوع في ابشع صورة واشقها فنرى المتحابين في هذه الحالة يبكيان للفراق المتوقع قبل ان يرياه ونجدهما في ساعة السعادة منكدي القلب بذكرى الشقاء كما قال الحماسي

وما في الارض اشقى من محب وان وجد الهوى حلو المذاق

تراه باكيا في كل حين مخافة فرقة او لاشتياق

فيبكي ان ناوا شوقا اليهم ويبكي ان دنوا خوف الفراق

فتسخن عينه عند التنائي وتسخن عينه عند التلاقي

وقد قال ابو تمام في وصف هذا الاحساس من طرف المحبوب

غدت تستجير الدمع خوف نوى غد وعـاد قتـادا عندهـا كل مرقد

وبتردد هذه الخواطر وشيوع هذه التخوفات تصبح نفس المحب شديدة اللهفة على المحبوب حريصة على التمتع بوصاله شان النفس البشرية اذا احست بقرب الفناء في ما لديها كما قال الصمة

تمتع من شميم عـرار نجد فمـا بعد العشية من عـرار

ومن هنا اصبح لليوم الذي قبل يوم الفراق شانه العظيم عند ارباب الهوى فطالما استقبلوا غداته بالبكاء كما قال ابن ميادة

وما انس م الاشياء لا انس قولها وادمعها يذرين حشو المكاحل

تمتع بـذا اليوم القصيـر فانه رهـين بايام الشهور الاطـاول

وبانضمام هذا الحرص الشديد على وصال الحبيب الى اثر عظم الاشواق وطـول احتمالها مدة الفراق الاول يتعاظم الشوق مع الاتصال وهي ثاني منكدات الوصل بعد الفراق كما قيل

وابرح ما يكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار [١]

حتى ينتهي الى الدرجة التي قال فيها عباس

ومن عجب اني احن اليهم واسال عنهم من لقيت وهم معي

وتشتاقهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي

(يتبع) محمد الفاضل ابن عاشور

(١) هكذا رواه ابو علي القالي عن جحضة عن حماد بن اسحاق عن ابيه انظر الجزء الاول من الامالي صحيفة ٥٥

❊ التشريع الاسلامي ❊

في العدد القابل مقال ينشر تحت هذا العنوان للعلامة الاستاذ الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط المفتي المالكي

اعتذار

ورد على ادارة المجلة عدة تحارير وقصائد اضطررنا لتاخيرها الى عدد قابل مع الاعتذار لاصحابها بضيق هذا الجزء

منها مقال قيم بعنوان (المكتبات ومبلغ عناية الامم بها) بقلم الاديب الشيخ محمد العنابي

ومنها مقال تحت عنوان (التجديد في الادب ايضا) للاديب الشيخ محمد المهدي بن الناصر تاخر نشره لما بعد انتهاء المقال المتتابع بالعنوان نفسه

كما ورد على المجلة اسئلة مختلفة ستقع الاجابة عنها في الاعداد المقبلة ان شاء الله

ملاحظة : المرغوب من السادة الذين يرغبون في الاجابة عما يوجهونه من الاسئلة ان يختموا رسائلهم باسم المرسل الطالب للجواب . وله الحق في طلب اخفاء اسمه ان شاء

مجلة الافكار

سيعزز جانب الادب بمجلة الافكار التي ستصدر قريبا والمؤمل انها ستكون من المجلات الراقية المنتجة وانا لنبتهج بصدور هذه المجلة ونؤمل للقائمين عليها ان يكون التوفيق رائدهم فيما يستقبلونه من عمل مفيد وللمجلة ما تستحقه من الرواج

الفتاوى والأحكام

حكم الحلف بالحرام واللازمة

بقلم العلامة الكبير سيدي احمد كريم شيخ الاسلام سابقا بتونس قدس الله روحه

ننشر فيما يلي نص ما حرره المقدس المبرور شيخ الاسلام سيدي احمد كريم المتوفى في المحرم سنة ١٣١٥ في اليمين بالحرام واليمين باللازمة وما يلزم الحالف بهما شرعا نظرا لما يجري في هذه الايام من الاختلاف فيهما بين علماء المشرق ولتعارف اهل بلدنا الحلف بهما وكثرة دورانهما على السنة الناس مع الغفلة عما يلزم بهما عند الحنث من طلقة واحدة بائنة او ثلاث على حسب نيته ان كانت له نية او على مقتضى العرف ان لم ينو الموجب ذلك انفكاك عقدة النكاح بين الزوجين انفكاكا لا رجعة معه ويكون الواجب على الزوج حينئذ تجديد عقدة النكاح من اصلها وذلك بعقد ومهر جديدين ان كان الواقع طلقة بائنة او الحرمة الغليظة التي لا تحل معها الزوجة لزوجها الاول الا بعد ان تنكح زوجا غيره والا فهو مقيم على معصية الزنا واولاده منها بعد الحنث اولاد زنا ومن منا يرضى لنفسه القيام على كبيرة من اعظم الكبائر مع الاستمرار عليها وعدم الاقلاع عنها الى آخر نفس من حياته مع ما يترتب على ذلك من الاحكام ذات الشان كعدم ثبوت نسب اولاده منها شرعا وانه لا توارث بينهما ولا توارث بينه وبين اولاده منها بعد الحنث وغير ذلك مما يقبح بالمسلم المحافظ على دينه جهله او التغاضي والغفلة عنه.

قال قدس الله روحه : ومما تعارفه اهل هذا القطر الافريقي اليمين بقولهم بالحرام وباللازمة اما الاول فقد اتفقت كلمة المشائخ الحنفية بتونس وعملها على لزوم طلقة بائنة من غير توقف على نية الطلاق به وان كان من الكنايات للعرف نعم يحتاج الى عدم نية

الثلاث فلو نوى به الثلاث او صرح بها وقعت ثلاثا والقول قول الحالف بيمينه في عدم نية الثلاث وبذلك افتى كل من ادركناه من المشائخ في اليمين بالحرام

واما اليمين باللازمة فقد جرت الفتوى فيه من مشائخ الاسلام البيرميين بمثل الفتوى في اليمين بالحرام نصا سواء وخالفهم في ذلك شيخنا شيخ الاسلام سيدي محمد ابن الخوجة رحمه الله وقد سالته يوم التاسع والعشرين من شعبان عام ثمانية وستين ومائتين والف عن اليمين باللازمة وما يلزم بها اذا حنث الحالف في يمينه بها فاجابني بقوله اني لا افتي بشيء فيها اذ لم اقف على النص من اهل مذهبنا سالكا في ذلك مسلك والدي رحمه الله تعالى وان كنت اطلعت على اقوال الفقهاء المالكية في ذلك واما آل بيرم فانهم يفتون فيها بما يفتى به في اليمين بالحرام مستندين الى ما نقله الشيخ بيرم الاول عن العلامة الانطاكي الحنفي في شرحه على البردة وهو ليس من الكتب المعدودة انقل احكام المذهب الحنفي ثم قال لي رأيت في المنهج الفائق في الاحكام والوثائق للوانشريسي من كتب المالكية النقل، عن ابي بكر ابن العربي صاحب العارضة انه سال عنها علماء العراق فلم يجيبوا بشيء وتوقفوا قال ابن العربي وسالت شيخهم المقدم ابا بكر الشاشي عنها فاجاب بانه روى عن ابي حنيفة انه على نيته في الحلف بها . ورايت في اعلام الموقعين في احكام رب العالمين من كتب الحنابلة نص المسالة في مذهبنا وقال لي الشيخ القاضي اسماعيل التميمي : ابوبكر الشاشي شيخ ابي بكر ابن العربي اه بلفظه

فان قلت اي طريق سلكت من هاتين الطريقتن لما انخرطت في سلك المفتيين قلت سلكت مسلك البيرميين وافتيت بما افتوا به بيقين لا بمجرد التقليد بل لما استندوا له مع ما انظم الى ذلك مما وقفت عليه من كلام علمائنا في نظيرها وفيما جرى به العرف مما كان من قبيل الالفاظ وما تحرر من فحول السادات المالكية في اليمين باللازمة مما تقتضيه قواعدنا وبيان ذلك : ففي الباب الثامن والعشرين من معين الحكام في القضاء بالعرف والعادة لقاضي القدس الطرابلسي الشهير بابن افلاطون ما نصه :

تنبيه ونقلت من الرحلة لابي عبد الله بن رشيد فيمن حلف بالايمان اللازمة وحنث هل يلزمه الطلاق الثلاث او واحدة ثم قال والمعتبر في ذلك عرف الحالف لاعرف المفتي

فلو دخل المفتي بلدا لا يكون عرفهم فيه انه يراد به الطلاق الثلاث لم يجز له ان يفتي فيه بذلك ولا يحل للمفتي ان يفتي فيما يتوقف على العرف الا بعد معرفة العرف لمد الجواب اه وقد صرحوا في غير ما كتاب بانه يحمل كلام كل عاقد وناذر وواقف على عرفه اي على ما تعارفه الناس في محاوراتهم وخطاباتهم وبنوا على ذلك جواز النكاح بالالفاظ المصحفة وكذا في الطلاق الخ ولا تجد احدا من اهل هذا القطر يفهم من يمين اللازمة الاطلاق الزوجة كناية حتى ان كثيرا من المستفتين اسالهم عند الفتوى في يمين اللازمة بماذا حلفت فيقول بيمين الزوجة

هذا وقد وقفت على تحرير العلامة الشيخ محمد المناعي شيخ شيخنا سيدي ابراهيم الرياحي قدس الله روحه وكان من افقه علماء المالكية بالحاضرة بخطه ما نصه : ان الحكم اذا كان له مدرك من علة او عرف فانه يدور مع مدركه كاللازمة فمن كانت في عرفه يمينا فيمين والا فلا وعلى الاول فمن كان يراد بها في عرفه جميع الايمان فانها تلزمه ومن كان في عرفه يراد بها الطلاق فانه يلزمه على ما يراد في العرف من الواحدة او الثنتين او الثلاث وان كان العرف جرى بغير ذلك فانه يلزمه ما يراد في العرف كالمشي الى بيت الله الحرام وصوم شهر مثلا وهلم جرا ولذلك نجد العلماء يقول كل واحد بما يوافق عرفه وليست هي اقوالا لهم كما يوهمه نظم العاصمية وشارحوها وانما المدار على ما ذكرنا انتهى كلام الشيخ احمد كريم في المسئلة وقد ذيله العلامة الشيخ الشاذلي ابن القاضي رحمه الله بقوله : قلت ما نقله الشيخ من اعتبار العرف يؤيده ما قاله الكمال ابن الهمام في فتح القدير : واعلم انهم تعارفوا الحرام يلزمني ولا شك في انهم يريدون به الطلاق المعلق فانهم يذكرون بعده لا افعل اولا فعلن وهو مثل تعارفهم الطلاق يلزمني لا افعل فانه يراد به ان فعلت كذا فهي طالق ويجب امضاؤه عليهم • والحاصل ان المعتبر انصراف هذه الالفاظ الى المعنى المتعارف فيه بلا نية ولو قال الحالف اردت غيره لا يصدقه القاضي وفيما بينه وبين الله هو مصدق وان لم يتعارف يسئل عن نيته اه واقره عليه صاحبا البحر والنهر والشرنبلالي

ولما كان المتعارف عند اهل قطرنا في قولهم باللازمة الطلاق اللازم وهو البائن

فمعنى باللازمة بالطلقة اللازمة فاذا قال باللازمة لا افعل كذا فمعناه على ما قرره الكمال ان فعلت كذا فعلي طلقة لازمة فاذا حنث لزمه الطلاق بلا نية وانما يحتاج الى النية في كونه نوى الطلقة الكبيرة وهي الثلاث او نوى الصغيرة وهي الواحدة كما ذكره اصحابنا في الطلاق بالمصدر ولذا يحلفه مشائخنا اذا حلف بالحرام هل نوى واحدة او ثلاثا فيحلف انه ما نوى الثلاث لان لفظ الحرام مصدر وهو محتمل للكبيرة والصغيرة فيحلف انه ما نوى الكبيرة احتياطا . وفي كلا الفصلين وهما بالحرام وباللازمة ليس له ترجيعها الا برضاها ضرورة ان النكاح وان كان واحدة لكنه بائن فيتوقف على الرضا والحاصل ان اللفظ اذا تعورف استعماله في الطلاق صار صريحا في ذلك العرف وحينئذ لا يحتاج الى النية . فقد نقل في رد المحتار ان الصريح ما غلب استعماله في العرف في الطلاق بحيث لا يستعمل عرفا الا فيه اه

قلت ولا شك ان لفظ باللازمة كلفظ الحرام في عرف اهل قطرنا حتى انه لا يحلف به الا الرجال فوجب اعتباره صريحا كاعتبار لفظ الحرام كما افتى به المتاخرون من فقهائنا نعم الواقع بهما البائن وهذا لا بدع فيه لان الصريح يقع به البائن كما هو مصرح به

فان قلت اذا وقع الطلاق بهذين اللفظين ينبغي ان يكون معقبا للرجعة لان العامي الجاهل لا يميز بين البائن والرجعي فضلا عن ان يكون عرفه ايقاع البائن وانما المتعارف عنده ان من حلف باحد اليمين المذكورين يقع عليه الطلاق مثل قوله علي الطلاق لا افعل كذا

قلت لفظ الحرام معناه عدم حل الوطء ودواعيه وكذا لفظ اللازمة في العرف طلقة لازمة لا يحل معها الوطء ودواعيه ولذلك يعطفون عليها الحرام في حلفهم كثيرا فيقولون باللازمة والحرام لا أفعل كذا وعدم حل الوطء ودواعيه هنا بالطلاق والرجعي لا يحرم الوطء ودواعيه فتعين البائن وكونه التحق بالصريح لاجل العرف لا ينافي وقوع البائن به وخلاصته انه لما تعورف الطلاق بذينك اللفظين صار معناهما تحريم الزوجة وتحريمها لا يكون الا بالبائن . فهم وان لم يتعارفو فيهما في قطرنا

لفظ البائن بالمعنى الاصطلاحي لكن تعارفوا المعنى الذي لا يكون به الطلاق الا بائنا ولذا قال في البزازية : ان المتعارف في هذه الالفاظ انما هو ايقاع البائن لا الرجعي ولا يخفى على من له ادنى تدرب في الفقه ان العرف اصل عظيم في الشرع ادير عليه كثير من الاحكام . قال مولانا الشيخ محمد امين في شرحه لقوله في منظومة رسم المفتي :

والعرف في الشرع له اعتبار　　لذا عليه الحكم قد يدار

اعلم ان اعتبار العادة والعرف رجع اليه في مسائل كثيرة حتى جعلوا ذلك اصلا فقالوا تترك الحقيقة بدلالة الاستعمال والعادة . نقله عن الاشباه في القاعدة السادسة « العادة محكمة » ثم ذكر فروعا خالف فيها المتأخرون المنصوص في مسائل قال ولم يخالفوه الا لحدوث عرف بعد زمان الامام فعلى المفتي اتباع عرفه الحادث في الالفاظ العرفية وكذا في الاحكام التي بناها المجتهد على ما كان في عرف زمانه وتغير عرفه الى عرف آخر اقتداء بهم لكن بعد ان يكون المفتي ممن له رأي ونظر صحيح ومعرفة بقواعد الشرع حتى يميز بين العرف الذي يجوز بناء الاحكام عليه وبين غيره اه المراد منه والله الموفق للصواب واليه المرجع والمآب

سؤال وجوابه

ورد على ادارة المجلة سؤال من مدينة زغوان نصه بعد فاتحته

رجل مسلم حر بلغ من العمر خمسا واربعين سنة لم يصل في هذه المدة ركعة ولم يصم يوما ثم تاب الى الله واستقام حاله فما هو الحكم الشرعي بالنسبة الى هذا الرجل حينما كان تاركا للصلاة والصيام :

والجواب ان الشارع الحكيم أوجب على المكلف وهو العاقل البالغ حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثى الصلاة وجعلها عماد الدين قال تعالى « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » اي فرضت على المؤمنين في اوقات معينة وهي الاوقات التي اشار لها القرآن في آيات كثيرة وبينتها السنة الشريفة قولا وفعلا بما لا مزيد عليه وبسط الفقهاء

ذلك في كتبهم بسطا شافيا فليرجع اليه من اراده فتقرر باجماع المسلمين انه يفترض على كل مكلف خمس صلوات في اليوم والليلة ويجب عليه دون وجوب الخمس المتقدمة لكنه متاكد جدا حتى كاد يلحق بها الوتر

فان ترك المكلف الصلاة وهي على ما علمنا من التاكد فتاركها لا يخلو اما ان يتركها لنوم او نسيان لها فيجب عليه قضاء ما فاته من الصلوات زمن الغفلة اجماعا ولا التفات لمن قال لا يقضي ما كثر فانه قول شاذ عند اهل العلم ولا اثم عليه في التاخير لان التكليف على حسب الوسع وقد قال عليه السلام فيما رواه مسلم من طريق انس بن مالك رضي الله عنه «من نسي صلاة او نام عنها فكفارتها ان يصليها اذا ذكرها» وفي رواية اخرى له عن انس ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اذا رقد احدكم عن الصلاة او غفل عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول اقم الصلاة لذكري» وهذا من دلائل رفق الشارع واخذه باوجه المسامحة والتيسير ولا بدع فان من اصول ديننا القويم الدعوة الى ما فيه يسر والتنفير مما فيه عسر قال صاحب الشريعة الدين يسر وقال يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا ومما جاء في شمائله صلى الله عليه وسلم انه ما خير بين امرين الا اختار ايسرهما وفي ذلك تعليم لنا وتذكير شرح الله صدورنا ونور بصائرنا لاستجلاء ما في هذه الشريعة السمحة من دلائل الصدق وشارات الخلود. واما ان يتركها جاحدا لها منكرا وجوبها ومستهينا مستخفا بامر الشارع لها وهذا كافر باجماع المسلمين خارج عن ملة الاسلام والعياذ بالله تعالى يستتاب فان تاب والا قتل كفرا

واما ان يتركها تكاسلا مع اعتقاد فرضيتها كما هو حال كثير من الناس وهذا محل اختلاف علماء الاسلام من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الفقهاء المجتهدين فذهب مالك والشافعي رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف الى انه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فان تاب والا قتل حدا كالزاني المحصن وهي رواية عن احمد وذهب جماعة من السلف الى انه يكفر وهو مروي عن علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه واحدى الروايتين عن احمد بن حنبل رضي الله عنه وبه قال عبد الله بن المبارك واسحاق بن راهويه وابن حبيب من المالكية ولا قضاء عليه حينئذ لانه كمرتد تاب

وذهب ابو حنيفة واصحابه والمزني من اصحاب الشافعي الى انه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر بان يحبس او يضرب حتى يتوب ويصلي قال في التنوير وشرحه « ويكفر جاحدها لثبوتها بدليل قطعي وتاركها عمدا مجانة وتكاسلا فاسق يحبس حتى يصلي لانه يحبس بحق العبد فحق الحق احق وقيل يضرب حتى يسيل منه الدم » وفي الفتح لابن الهمام (فرع) ترك الصلاة عمدا كسلا يضرب ويحبس حتى يصليها ولا يقتل الا اذا جحدها او استخف بها »

وكأن من قال بكفره ناظر لحديث بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة[١] فمن فهم من الكفر هنا الكفر الحقيقي جعله كافرا ومن فهم من الحديث التغليظ والتوبيخ اي ان افعاله افعال كافر وانه في صورة الكافر كما جاء في الحديث الآخر لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن لم ير قتله كفرا ومن قال انه فاسق يعزر بالضرب والحبس ولا يقتل ناظر لحديث لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان او زنا بعد احصان او قتل نفس بغير نفس .

واذا كان ترك الصلاة وتاخيرها عن وقتها من اكبر الكبائر واعظم العظائم لما فيه من التغافل عن القيام باهم الفرائض التي حث عليها الشارع وتواصى بالمحافظة عليها قال جل من قائل « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » فعلى تارك الصلاة المبادرة بالتوبة النصوحة وذلك بالاقلاع عن معصية الترك واداء صلواته في اوقاتها والندم على ما فرط في جنب الله وقضاء ما فاته في سابق عمره من الصلوات التي بذمته فيأتي بها على حسب ما يتيسر له في الاوقات الزائدة على اوقات نومه واكله وعبادته الحاضرة وعمله الذي لا بد منه لتحصيل كسبه وليس عليه ترتيب في قضاء ما فاته عند ابي حنيفة رضي الله عنه اذا كانت الفوائت كثيرة بان تجاوزت الستة اذ الكثرة مسقطة للترتيب عنده وانما عليه ان يعين كل فائتة يريد قضاءها والتسهيل عليه قال فقهاء الحنفية انه ينوي عند القضاء اول صبح فاته او آخره واول ظهر فاته او

(١) اخرجه مسلم من طريق جابر رضي الله عنه في كتاب الايمان

آخره وهكذا في كل صلاة الى ان يقضي الجميع . في مسئلة الحال نفرض انه بلغ وله من العمر اثنتا عشرة سنة فعليه صلاة ثلاث وثلاثين سنة اذا كان في دار اسلام نعم اذا كان في دار حرب ولم يبلغه وجوبها فهو معذور وليس عليه قضاؤها حينئذ عند ابي حنيفة وفي مذهب مالك خلاف قال الشيخ الابي في شرح مسلم : واختلف في الحربي يسلم هل يقضي ما فاته ببلد الحرب قال سحنون يقضي واباه ابن عبد الحكم

والرجاء ان يقبل الله توبته ويمحو عنه ذنب تاخيرها عن وقتها فان التوبة المستجمعة لشرائطها مقبولة لقوله تعالى « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون » وفي قبول توبة العامي وستر ذنبه دافع له الى الرجوع الى الله والانفلات من مخالب الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس . واما الصوم فانه من اوكد الفرائض العينية ايضا قال جل ذكره « يايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » اي فرض عليكم ايها المؤمنون الصوم وهو الامساك عن المفطرات التي بينتها السنة من الاكل والشرب والجماع كما فرض على الامم الذين كانوا قبلكم . وقد عرف ان فرضية الصوم ثابتة في كل الشرائع السابقة لما فيه من الحكم العالية والمصالح العامة والاحاديث الدالة على تأكده وعظيم اعتبار الشارع له كثيرة منها قوله عليه السلام كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وانا أجزى به » قيل انما خص الصوم بالنسبة اليه تعالى من بين العبادات لانه عمل خفي اذ هو عمل سلبي لا يطلع عليه في الحقيقة غيره تعالى فلا يدخله الرياء المحبط للاعمال ثم القدر المفترض منه هو صوم شهر رمضان من كل سنة على العاقل البالغ قال تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » وشهود الشهر ان يبلغه على الطريق الشرعي المعروف دخول شهر رمضان برؤية هلاله او بعد شعبان ثلاثين يوما

فان ترك الصوم وافطر في نهار رمضان فلا يخلو ان افطر مستحلا او مستخفا كفر ومنه ما اذا افطر مجاهرا بفطره غير مبال بمعاينة الناس له فانه يحكم بكفره ويقتل قال في البزازية : من أكل نهارا في رمضان عيانا عمدا شهرة يقتل لانه دليل الاستحلال اهـ وان أفطر ناسيا فلا شيء عليه عند ابي حنيفة واصحابه لا مؤاخذة ولا قضاء وذهب

مالك الى وجوب القضاء عليه . وان أفطر عمدا غير مستحل للفطر ولا مستخف بامر الشارع فهذا فاسق عاص اجماعا وعليه ان يقضي ما فاته من ايام الصوم وان يكفر بتحرير رقبة ولو كانت كافرة ان وجدها وان لم يجد رقبة فعليه صيام شهرين متتابعين ان قدر عليه فان لم يقدر لكبر او مرض اطعم ستين مسكينا بان يغديهم ويعشيهم غداء وعشاء مشبعين او يغديهم غدائين من يومين او يعشيهم عشائين من ليلتين ولكن لا يكفيه ذلك الا اذا كان الذين اطعمهم ثانيا هم الذين اطعمهم اولا حتى لو غدى ستين ثم عشى ستين غيرهم لم يجزه ذلك حتى يعيد الاطعام لاحد الفريقين ولو اطعم فقيرا واحدا ستين يوما اجزأه لانه بتجدد الحاجة في كل يوم يصير بمنزلة فقير آخر ومثل الاطعام ان يعطي كل فقير نصف صاع من بر او من دقيقه او يعطيه صاعا من تمر او شعير او زبيب او يعطيه قيمة ما ذكر وان تعددت ايام الفطر فعليه ان يقضيها جميعا وتجزيه كفارة واحدة عن الجميع لو من رمضان واحد للتداخل ولو من رمضانين اختلف التصحيح عند الحنفية ففي ظاهر الرواية انه لا تكفيه كفارة واحدة قال في الجوهرة وهو الصحيح وعند محمد تكفيه كفارة واحدة قال في البزازية والمجتبى وعليه الاعتماد قال الشيخ ابن عابدين في رد المحتار على الدر المختار بعد ان نقل التصحيحين عن البحر قلت فقد اختلف الترجيح كما ترى ويتقوى الاول بانه ظاهر الرواية اه

ففي مسئلتنا يقضي صيام ثلاثة وثلاثين شهرا ويكفر كفارة واحدة عن الجميع عند محمد بن الحسن رحمه الله وذهب امام دار الهجرة رضي الله عنه الى ان الكفارة تجب على التخيير بين التحرير والصيام والاطعام والاطعام افضل وانه لا يجزيه الاطعام الا اذا كان لستين مسكينا وانه لو اطعم فقيرا واحدا ستين يوما لم يكفه ذلك وان القيمة لا تجزىء وانه لا تكفيه كفارة واحدة عن ايام كثيرة بل لا بد من التكفير عن كل يوم بخصوصه ولا تداخل

وفقنا الله لاداء ما كلفنا به والهمنا ما فيه صلاحنا انه ولي الاعانة والتوفيق .

محمد الهادي ابن القاضي

الحياة العلمية

كان يوم الخميس الرابع عشر من شهر رجب المنصرم الموافق ليوم غرة اكتوبر الجاري هو يوم افتتاح السنة الدراسية . وهو يوم مشهود ترقبه النفوس الحية وتبتهج به كما تبتهج بايام المواسم والاعياد . ففتحت جميع معاهد العلم ابوابها . وعاودها نشاطها بعد ان كانت راكدة مدة الصيف المضني بحرارته للعقول والاجسام

وحدثت بسبب ذلك حركة في البلاد من جميع نواحيها حيث حل بالعاصمة الآف من الطلبة من مختلف انحاء القطر بعد ما قضوا زمن المصيف في بلدانهم بين اهلهم واصحابهم

في جامع الزيتونة ـ وفي يوم الخميس المذكور فتحت ابواب جامع الزيتونة فاقبل طلبته مبتهجين مسرورين بانقضاء الراحة وحلول زمن الكد والعمل المفيد فانشرح بقدومهم صدر الجامع وشيوخه ولاقوهم كما يلاقي الاب ابنه العزيز بعد ان طال به الانتظار . وعز عليه الاصطبار . وكانت مشيخة الجامع قد هيات جميع الاعمال والتراتيب من قبل بحيث ان غالب الدروس قد انتظمت من اليوم الاول . والفضل في ذلك راجع الى دقة النظام الذي يسير على مقتضاه صاحب الفضيلة شيخ الجامع الاعظم ابقاه الله

فرع جديد للجامع ـ وقد اضيف في مفتتح هذا العام فرع ثالث للجامع الاعظم بالحاضرة وهو جامع سيدي يوسف . زيادة عن فرعيه السابقين وهما جامع القصبة . والمدرسة الخلدونية وذلك لضيق الفرعين المذكورين عن ايواء التلامذة الذين اخذ عددهم في نمو وازدياد في هذه الاعوام التي احس الناس فيها بانه لا حياة ولا سعادة الا بالعلم . وخصوصا علم الدين واللغة العربية

ولعمري انه لمظهر مسر جدا هذا الذي دفع الناس على اختلاف طبقاتهم وعقلياتهم الى الحرص على تعليم ابنائهم مهما كانت التكاليف . ومهما عرضت من مصاعب

وجامع سيدي يوسف كان الحق بجامع الزيتونة في عام ١٣٤٥ الموافق لعام ٢٧ ـ ١٩٢٦ وانتظم التعليم به خمسة اعوام . ثم نقل لجامع القصبة وسنكتب في المستقبل عن تاريخ هذا وتفصيل ما وقع عند الحاقه بجامع الزيتونة .

اجراء الامتحانات ــ وقد اعيدت الامتحانـات بالجامع للراسبين في امتحان آخر العام او لمن تعذر عليه اجراؤها اذ ذاك طبق التراتيب الجديدة للجامع

فابتدئت الامتحانات يوم السبت ١٢ رجب و٣ اكتوبر واعطيت النتيجة يوم الاحد ٢٤ و١١ منهما . وكان جملة الناجحين اثنين وسبعين تلميذا على التفصيل الآتي:

شهادة العالمية ــ اثنان في القراءات • واثنان في العلوم احدهما في القسم الشرعي والآخر في القسم الادبي

شهادة التحصيل ــ واحد في الرتبـة الاولى • وثلاثة عشر في الرتبـة الثـانية • وواحد وعشرون في الرتبة الثالثة

شهادة الاهلية ــ واحد في الرتبة الاولى • وثمانية في الرتبة الثانيـة • واربعة وعشرون في الرتبة الثالثة . فنهنيهم جميعا ونرجو لهم زيادة الحرص على طلب العلم

نصيحة للطلبة ــ ونحن بما لنا من العاطفة الابوية . والحرص على صالح ابنائنا من عموم الطلبة ننتهز هذه الفرصة لنقدم لهم هذه النصيحة الخالصة لوجه الله

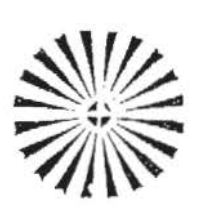
ايها الابناء الاعزاء زادكم الله من توفيقـه . انتم قرة اعيننا . ومطمح امالنا وزينة مستقبلنا . ان كنتم تريدون لبلادكم الخير ولامتكم العز والشرف . وان تنهض من كبوتها . وتسترجع بعضـا من عزتها . فاعلموا ان ذلك لا يكون الا بـالعلم . فاصرفوا اوقاتكم في تحصيله ولا تتركوا لحظة من وقتكم تمر بدون عمل مفيد وتحصيل علم جديد . وانظروا الى ما يقاسيه اباءكم في سبيل اسعـادكم وتهذيب نفوسكم وترقية شعوركم والى ما تقاسونه من بعد الاوطان . ومفارقة الاقارب والخلان . فاياكم ان تضيعوا اوقاتكم في غير الاستفـادة والتحصيل . قال بعض الحكماء : الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك . وقال آخر : العلم ان اعطيته كلك اعطاك بعضه . فلتكن اوقاتكم مقسمة على ثـلاث حصص . حصة للحضور بالدروس • وحصة للتحضير لهـا • وحصة لمطالعة الكتب في مختلف الفنون والمواضيع حتى تكون لكم مشاركة حسنة واطلاع واسع . فليس العالم من يعرف مسائل من النحو او من البلاغة او من المنطق ويتقنها ويجيد القاءها • بل العالم هو من تكون له ثقافة عامة • واطلاع واسـع • وخبـرة

بالحياة من جميع نواحيها • وذلك لا يمكن التحصيل عليه بالدروس وحدها • بل لا بد معها من المطالعة والانكباب على دراسة الكتب على اختلاف مواضيعها وتباين مشاربها • واعلموا ان ملاك السعادة والنجاح • واساس البلوغ الى كل خير • هو تقوى • الله والبعد عن محارمه • فزينة العالم بالتقوى • ونجاحه بالاخلاص لله في السر والنجوى ولنختم هاته النصيحة بابيات خالدات من نظم شاعرنا التونسي الشيخ محمود قابادو رحمه الله وهي قوله:

دليل اصطفاء الله للعبد علمه	وتشريفه ان يكشف الحق فهمه
وليست فنون العلم الا طرائق	يؤم بها كل امرىء ما يهمه
لذلك لما استخلف الله ءادما	توفر من علم الحقائق قسمه
فكان مناط العلم والدين والعلا	بحيث نما العمران وامتد رسمه
فمن علم الاشياء وفى حقوقها	ودان له فيما يحاول خصمه
وكل فنون العلم للملك نافع	ولا سيما ما ساير الملك حكمه
لذاك ترى ملك الفرنج مؤثلا	بعلم على الايام يمتد يمه
ومملكة الاسلام يقلص ظلها	وينقص من اطرافها ما تضمه
وقدما تناهت في الفنون توغلا	وجمع طم الصنع فيها ورمه
فلم يجد المستبعدون لعزها	سوى العلم نهجا للرءاسة امه
فكان لهم منه النفوذ الى المنى	ولا سيما ثغر خبا منه حجمه
لقد فاتنا في بادىء الصوب راينا	واشفى لعمري ان يفوت ختمه
تباعد شوطا تقدم ومقهقر	اذا لم يحن منه التفات يزمه
لعمري ليس الميت من اودع الثرى	ولكن مطيق للغنى بان عدمه

فلتكن هاته الابيات نصب اعينكم • ولتتدبروا في معناها ومغزاها فهي التي تبعث الهمم من مرقدها وتحيي ميت الشعور والله المرجو لتحقيق الآمال ونجاح الاعمال •

محمد المختار ابن محمود



المرجو من القارىء الكريم تصحيح الاخطاء الآتية

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٦	٣	دعى	دعا
٤٦	٧	على	عن
٤٨	١٦	يبداك	يبدؤك
٤٨	٢٠	آذنتك	اذنتك
٥٠	١	برذية	برذيلة
٥١	٦	بوعدن	يوعدون
٥٢	٤	بما	لما
٥٦	٢٠	السحاق	اسحاق
٦٢	١٩	داوداد	داود
٦٦	١٠	تدعوا	تدعو

تباع المجلة في الاماكن التالية

اماكن بيع المجلة بالحاضرة

المكتبة العلمية سوق الكتبية رقم ١٢

مكتبة الاستقامة نهج سيدي ابن عروس رقم ٣٤

المكتبة العتيقة سوق الصوف رقم ١٣

مكتبة الامان سوق السرايرية رقم ٢٢

مكتبة الاطلس نهج سيدي ابن عروس رقم ٤٤

المكتبة الزيتونية سوق السرايرية

مكتبة الرجاء سوق الكتبية رقم ٢

المكتبة العربية الكبرى سوق السرايرية

مكتبة العنابي (اخوان) نهج باب البنات

مكتبة السعادة نهج الكتبية رقم ٤

دكان السيد محمد بن عمر جوار ادارة الاوقاف رقم ٧٢

اسماء متعهدي بيع المجلة في بلدان المملكة

السيد الحبيب الذوادي ببنزرت بنهج احمد باي

« احمد المرابط متعهد بيع المجلات ببنزرت

« عمر بن يدر بفريفيل

« علي المزي بماطر

« احمد بن الحاج عبد الرحمن العجالي بقليبيه

« عبد القادر قربوج بنابل

« حموده الذكواني بمنزل جميل

محمد الصالح البكوش بباجه

السيد حمدان الشريف بسوسه

« محمد العربي بالمكنين

« محمد زهره بالمنستير

« ابوبكر بن محمد الصانع بقصر هلال

« الصادق بوزيان بالقيروان

« سعد بن بلقاسم الصحراوي بسبيطلة

« علي بسباس بسوق الجمعة رقم ١٢ بصفاقس

« قدري قعيب بقفصه

« المكتبة الاسلامية بتوزر

« عمر اسكندر بنفطة

« شرف الدين الدقاشي بدقاش

« محمد بن علي امنجه بقابس

« حمزه شورو بميدون جربه

اسماء متعهدي بيع المجلة بالقطر الجزائري

السيد محمود نسيم بشارع لالير رقم ٤٢ بالجزاير

« محمود باش طبجي بساحة شارتر بالجزائر

مكتبة النجاح بقسنطينة

« قندوز بنهج جنجراس بسطيف

« الاخضر بن مبارك ببسكره

« بن داود بساحة دي قرقولات بعنابة

« محمد الهادي جلال بتبسه

مكتبة السيد مصطفى باغلي بنهج سكاك ٤٢ تلمسان